الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٨ — ٤ مايو سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 148.

Lundi - 4 - 5 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٣٥٥ — ٤ مايو سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

الملك العالم فؤاد الأول



سبحانك اللهم مالك الملك ! تدبِّر أمرك فى سمو على مدارك العقل ، وتنفذ حكمك فى استقلال عن هوى الناس ! فلا حرص الوالد على وحيده يلطِّف قضاءك فيه ، ولا حاجة الشعب إلى مليكه تردّ بأسك عنه . حكمة ضلّت فيها الفطنة ضلال الأفن ، وقوة ضاعت فيها القدرة ضياع العجز ، وسلطان خضع له الملك خضوع السُّوقة !

كان الملك فؤاد رحمه الله مظهراً من مظاهر القدر فى الأرض . يجلس على عرش من أعرق العروش نسباً فى الملك ؛ ثم يأمر

فيطيع شعب ، ويقول فيسمع عصر ، ويعمل فيسجل تاريخ ، ويضع حكمه فى الأمور موضع الإرادة السماوية فيكون شريعة لا تخالف ، وعقيدة لا تنكر . وتلك طريقة المُلك بمعناه الشرقى الموروث ، تصلح ما دام لها من هدى الله دليل ومن رَوْح العدالة سند ؛ وشبل إسماعيل كان ملكاً بنشأته ومصلحاً بطبعه : رُبى تربية ملكية ، ونُشِّىء تنشئة عسكرية ، وثُقِّف ثقافة حديثة ؛ ثم تقلب بين ملكية رومة ، وخلافة الآستانة ، وخديوية القاهرة ، فارتسم على صفحة ذهنه صور من كلٍّ . ولكن عبقريته الفنية وعقليته العلمية ورجولته العملية ، جعلت منه ملكاً فيه خصائص المُلك ، وليس فيه نقائص الملوك . وإذا قلت إن الشرق لم يرقبل فؤاد ملكاً واسع الإحاطة شامل الثقافة قوى الإدراك لا تبعد عن الصدق

كانت مواهب الأمير فؤاد تأبى عليه إلاّ أن يكون كخالد ابن يزيد رجلَ علم إن لم يكن رجل مُلك : لذلك لم يصبر طويلاً على أن يكون حاشية للسلطان فى سراى عبد الحميد أو قصر عباس ، فعاد فاتبع إحدى سبيلى المجد ؛ وأقبل يذكى النهضة المصرية بالعلم النافع والعمل المنتج والقوة المحركة ؛ فكان رئيساً لتسع عشرة جمعية أو مؤسسة ما بين علمية واقتصادية وخيرية ، كلها من اقتراح رأيه أو من ثمرة سعيه . فلما بوّأه الله عرش مصر فى ساعة مضطربة وحالة مبهمة ، كان يرى لطول ما خبر الشعب ، وكثرة ما عالج الأمور ، ووفرة ما عرف من الوسائل ، وكفاية ما تزود للإصلاح ، وقوة ما ضمن لتوزيع العدل ، أنه أول الناس وأولى الناس بقيادة أمته فى أشد مراحلها تعرضاً للضلال والخطر ؛ وهذه القيادة نوع من أنواع الحكم المطلق ، يعتمد على وحى العقيدة وإخلاص الرأى كالخلافة ، أكثر مما يعتمد على استبداد الزعامة وقوة الجمهور كالدكتاتورية ؛ ومن ذلك كان منشأ النزاع الثلاثى الذى قام بين العرش والاحتلال والدستور حيناً على حين ؛ ومن طبيعة هذا النزاع أن يتجاذب أطراف الأمة الثلاثة فتنبسط لتنقبض ، وتتسع لتضيق ، ولكن القوة التى كان الملك يستمدها من صبره وحكمته وجرأته وخبرته وذكائه كانت فى الكثير الغالب تشد الطرف الراجح إلى يده ، فيسير فى الإصلاح بالقدر الذى يبقى على هذا التجاذب من الإمكان والقدرة . ومع ذلك كان التقدم فى عهده على محافظته وأناته محسوس الأثر ؛ فلقد تعهد منابت الثقافة فغذاها بعونه ، وتفقد منابع الثروة فرفدها بعنايته ، وبسط رعايته على كل أمر من أمور الدولة وكل شأن من شئون الأمة حتى لا تجد عملاً من الأعمال العامة إلا كان فيه بسطة من لسانه أو يده

ولعل أشرق وجوه الإصلاح فى عهد المليك الراحل ما اتصل منها بالجمعيات الاقتصادية والمؤسسات العلمية والمؤتمرات الدولية والمتاحف الأثرية والمرافق العامة ؛ أما الأعمال الفردية والجهود الأدبية فكان نصيبها من حكمه السعيد كنصيبها من حكم جده الأعلى محمد على . على أن عناية المليك العظيم بها قد بدت بواكيرها المرجوّة فى مثل بنك التسليف ومجمع اللغة ؛ فلو مد الله فى عمره الحافل المبارك حتى تنضج لكان عصره أشبه بعصر لويس الرابع عشر

كان الملك فؤاد بالرغم من عوامل نشأته ، وعلى النقيض من ميول أبيه ، شديد التعلق بدينه ، قوى الحرص على شرقيته ؛ يكره أن يجعل من مصر قطعة من أوربا ، ويحب أن تظل دولة إسلامية شرقية لها تقاليدها الخاصة ، وأسانيدها المتصلة ، وسماتها المميزة ، فساعد الحجاب ، وأيّد الطربوش ، وعضّد الدين فى كل خلاف بينه وبين التطرف ؛ وكان من ذلك شىء من التصادم المكبوت بين الرغائب الوثابة الشابة ، وبين هذه الأناة الملكية الحكيمة

إن من العسير على المنطق النزيه أن يحكم اليوم على أعمال مليكنا العالم العامل الكفء ، فإنها إنما بدت للناس على ألسنة رجال البلاط ، وعلى أيدى رجال الحكومة ؛ والبلاط قد يتأثر بشهوات الناس ، والحكومة قد تتأثر بنزوات الساسة . ومهما يقل التاريخ فى العصر الفؤادى فسيسجل بالخط البارز أنه عصر الرخاء للنيل ، وعهد الاستقلال للأمة ، وفجر النهضة فى مصر

عز الله مصر عن ملكها العظيم الفقيد ، وبارك الله لمصر فى ملكها العزيز الجديد

احمد حسن الزيات

مقياس الشـــباب

للأستاذ أحمد أمين

أما الأطباء وعلماء الأحصاء فيقدرون الشباب بالسن ، فمن بلغت سنه العشرين أو قبل ذلك قليلا أو بعد ذلك بسنين فشاب وإلا فلا ؛ فتحديد السن هو مقياس الشباب ، كما هو مقياس الطفولة والهرم ، فان شئت أن تعرف المخلوق أطفل هو أم شاب أم شيخ فأغمض عينك وعدّ السنين ، ولا تنظر إلى قوة أو ضعف ، ولا إلى صحة أو مرض

وسار على هذا النمط علماء اللغة ، فقالوا : ما دام الانسان في الرحم فهو جنين ، فاذا ولد فهو وليد ، ثم ما دام يرضع فهو رضيع ، ثم إذا قطع عن اللبن فهو فطيم ، فاذا كاد يجاوز العشر سنين أو جاوزها فهو ناشئ ، فاذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق ، ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب ، ثم هو كهل إلى الستين

ولكن هناك شاعرا أراد أن يخرج على هذه التقاليد ، وأراد أن يقيس الشباب والفتوة بالمعنى لا بالمبنى ، وبالقوة لا بالسن ، فقال :

يا عزّ هل لكِ في شيخ فتًى أبدا وقد يكون شبابٌ غيرُ فتيانِ ؟

فهو لا يريد أن يعترف بأقوال الأحصائيين ، ولا أقوال اللغويين ، فقد يسمى الشيخ شاباً متى حاز صفات الشباب ، وقد يسمى الشاب شيخاً إذا حاز صفات الشيوخ ، فالعبرة عنده في التسمية الصفة لا السن ، وهي من غير شك نظرة جريئة ومذهب جديد ينظر فيه إلى الكيف لا إلى الكم ، وإلى النتائج لا إلى المقدمات ، وإلى الغاية لا إلى الوسيلة ؛ فاذا عرضتَ عليه رجلا قد ناهز الستين أو جاوزها ، قد لبس في حياته العمائم الثلاث : السوداء ثم الشمطاء ثم البيضاء ؛ وعرضت بجانبه من يسمونه شاباً ، لم يلبس في حياته إلا العمامة الأولى . ثم سألت صاحب هذا المذهب : ما قولك دام فضلك في هذين ؟ هذا أربى على الستين ، وهذا في سن العشرين . فأيهما الشاب ، وأيهما الشيخ ؛ لم يستسخف سؤالك ، ولم يعده بديهية من البديهيات ، بل عده مجالاً للنظر الطويل والتفكير العميق ، وقال : ليس الأمر بالسن أيها السائل ، فمن رأيته منهما متهدماً قد نضب ماؤه ، وذهب رواؤه ، وذوى عودُه ، وخَوَى عمودُه ، ورق جلده ، وانخرع متنه ، وحطمته اللذات ، وأنهكت قوته الشهوات ، حتى صار لا يحمل بعضه بعضاً ، فهو الشيخ وإن كان ابن العشرين ؛ ومن امتلأ قوة ، وبلغ كمال البنية ، واستوت قامته ، واعتدل غصنه ، وحفظت جدته ، وأحكمت مِرّته ، وتجلت رجولته ، واكتمل نشاطه ، فهو الشاب ولو جاوز الستين . إنما يلجأ إلى السن في تحديد الشباب والشيخوخة من قصُرَ نظره ، وضعفت قوة حكمه ، وأراد أن يعالج الأمر من أسهل طرقه ، وأقرب مسالكه ، وذلك شأن الغر الأبله ، لا الفيلسوف الحكيم ، ولمَ كنا إذا قسنا العلم وقسنا الكفاية ، وقسنا الخلق والصلاحية للأعمال لم نرجع في شيء من ذلك إلى السن ، وإذا قسنا الشباب والشيخوخة رجعنا إلى السن ؟ ليست السن مقياس الشباب ، وإنما أحسن أحوالها أن تكون علامة الشباب ، وقد تتخلف العلامة كحكمنا على الرجل بالعلم لأن لديه شهادة الليسانس في الآداب أو الليسانس في الحقوق ، وقد يكون معه الليسانس أو الدكتوراه وليس بعالم ، كما يكون في سن العشرين وليس بشاب . إن الشباب أو الشيخوخة معنى لا مادة ، وقد علمتنا قوانين الحياة أن المادة تقاس بمادة ، والمعنى يقاس بمعنى . فنحن نقيس الحجرة المادية بالمتر المادي ، ونكيل القمح المادي بكيلة مادية ، ونزن التفاح المادي برطل مادي ، ولكن من السخف بمكان أن تقيس الفضيلة أو الجمال أو القبح بمتر أو رطل أو قدح ، فلم نقيس الشباب وهو معنى بالسن وهي مادة ؟

بل لو تعمقنا أكثر من ذلك لوجدنا أن حسن الرواء وجمال المنظر ومرح النشاط ليست هي المقياس الصحيح للشباب ، إنما الشباب مزاج ، هو محصّل لمجموع قوى نفسية ، هو حاصل جمع لصفات خلقية ، إن شئت فقل هو الارادة قوية تعزم العزم لا رجوع فيه ، وتزمع الأمر لا محيد عنه ، وترمي الى الغرض لاسبيل إلا اليه ، تعترض الصعابُ فلا تأبه لها ، وتخر السماء على الأرض فلا تتحوّل عنه ؛ قد تعترف بأن هناك عقبة ، ولكن لا تعترف بعقبة كؤود ؛ وقد تقر بصعوبة الأمر ، ولـ

باستحالته — والشباب هو العاطفة القوية المتحمسة الصحيحة، ومظاهر صحتها أنها ثابتة فليست « قشاً » تشتعل سريعاً وتخمد سريعاً، وليست مضطربة تذهب مرة يمينا ومرة يسارا من غير غرض يحدد اتجاهها، وليست مائعة تحب فتذوب في الحب، وتغضب فتجن في الغضب، إنما ألجمها بعض الالجام العقل والمصلحة والغرض — والشباب هو الخيال الخصب الواسع الأفق المترامي الأطراف الذي يرسم الأمل ويبعث على الطموح، ويحمل المرء على أن يتطلب لنفسه ولأمته حياة خيرا من حياتها الواقعية — هذا المزاج الذي يتجمع من إرادة قوية وعاطفة حية وخيال خصب هو الشباب، وبمقدار قوتها وتلاؤمها تكون قوة الشباب، وبمقدار نقصها تكون الشيخوخة، فالشباب موجب والشيخوخة سالبة، والشباب اقدام والشيخوخة أحجام، والشباب نصرة والشيخوخة هزيمة

وإذا كان الناس قد اعتادوا أن يصطلحوا على علامات للشيب والشباب حسب تفسيرهم الباطل فان لنا علامات أخرى على تفسيرنا الصحيح

لقد جعلوا الرأس موضع أهم الأمارات، فسواد الشباب وبياض الشيب أكثر ما دار عليه القول في الشيخوخة والشباب، وهو مركز القول في ذلك عند الأدباء والشعراء، حتى ألفوا في ذلك الكتب الخاصة من أشهرها كتاب « الشهاب في الشيب والشباب » جمع فيه الشريف المرتضى تسعة وثلاثين بيتاً في الشيب لأبي تمام، ومائة وأربعين للبحتري، وثلثمائة وأربعة عشر للشريف الرضي، وأربعمائة وثلاثة وستين للمرتضى، وستة وأربعين لابن الرومي. وقد التفت مؤلف هذا الكتاب في مقدمته إلى فكرة جليلة، ولكنه لم يحسن تعليلها، قال: « إن الاغراق في وصف الشيب والاكثار في معانيه، واستيفاء القول فيه، لا يكاد يوجد في الشعر القديم، وربما ورد لهم فيه الفقرة بعد الفقرة، فكانت مما لا نظير له، وإنما أطنب في أوصافه واستخراج دفائنه والولوج إلى شعابه الشعراء المحدثون »

وعلة ذلك في نظري أن الحياة في الجاهلية وصدر الاسلام لم تكن غالية، كانت تتطلب المجد وتسترخص الموت، غير أن المجد في الجاهلية كان مجد الذكر وحسن الأحدوثة والخوف من العار واتباع التقاليد، وكان في الاسلام ذلك، وعند بعضهم الاستشهاد في سبيل الدعوة وبيع النفوس لله برضاه وجنته، فليست الحياة تستحق البكاء الطويل عليها. أما في العصر العباسي فكانت أشبه بحياة الرومانيين؛ من أهم أغراضها اللهو واللعب، ومن أهم أغراضها القرب إلى النساء والتحبب اليهن، وذلك يستدعي حب الحياة؛ فنذير الموت وهو الشيب بغيض إلى النفس، والنساء يكرهن الشيب فيجب أن يكره، ويعيرن به فيجب أن يبكى، ويمدحن الشباب ويحببنه فيجب أن يرثى. لهذا كثر القول في الشيب في العصر العباسي وما بعده، وقل فيما قبله

أما علامات الشباب والشيخوخة في نظريتنا: فليس موضعها الرأس، إنما موضعها القلب، فاليائس شيخ لأن اليأس ضعف في الارادة وضيق في الخيال، وبرودة في العاطفة، والشيب شيب القلب لاشيب الرأس، فمن لم ينفعل لمواضع الانفعال، ولم يعجب لمواضع الاعجاب، ولم يستكره في مواضع الاستكراه، ولم ينازل في مواضع الكفاح، ولم يطرب للموسيقى الجميلة والمنظر الجميل، ولم يهتج للأحداث، ولم يأمل ولم يطمح، فهو شيخ أي شيخ، شاب قلبه، وإن كان أسود الرأس حالكه

إن أردت أن تعرف أشيخ أنت أم شاب، فسائل قلبك لا رأسك، هل ينبض بالحب: حب الجمال، وحب الطبيعة، وحب الفضيلة، وحب الانسانية، وهل ينفعل لذلك انفعالاً قوياً فيهيم ويغار ويدافع ويضحي؟ هل يتصل قلبه بالعالم فيتلقى أمواجه الأثيرية من الناس، ومن الأرض، ومن البحر، ومن الجبل، ومن السماء. ثم يلقي بأشعته — كما تلقى — على كل من حوله، فينفعل ويفعل، ويتأثر ويؤثر؛ فهو كالقمر يتلقى من الشمس ضياء وهاجا ويعكسه على الأرض نوراً وضاء؟ هل يبادل من حوله حباً بحب، وعاطفة بعاطفة، وخيراً بخير، وأحياناً شراً بشر؟ وهل يترك العالم خيراً مما تسلمه؟ أو أن قلبه بارد كالثلج، جامد كالصخر، لاطعم له كالماء، ميت كالجماد، مغلف كالخرشوف؟

إن كان الثاني فشيخ، وإن كان الأول فشاب

قالت كَبِرْتَ وشِبْتَ قُلْتُ لها

هـذا غُبارُ وقائع الدَّهر

أحمد أمين

النهضات القومية العامة

فى أوروبا وفى الشرق

للأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى
عميد كلية الحقوق ببغداد

بقية المحاضرة الثانية

طرقها فى التنظيم :

وللفاشية طرق للتنظيم . والحكومة الفاشية تتألف من الملك والمجلس الأعلى والوزراء ومجلس الشيوخ ومجلس النواب والمجلس الوطنى للنقابات . ومن وراء هذا الحزب الفاشى على درجة عليا من التنظيم ، وهو القيم على الحكومة الفاشية كما أن الحزب الشيوعى هو القيم على الحكومة البلشفية . ومن وراء هذا وذاك الزعيم . وهو رئيس الحزب الفاشى ، ورئيس المجلس الأعلى ، ورئيس الوزراء ، ورئيس المجلس الوطنى للنقابات . وفى يده تتركز كل السلطات

والجديد فى هذا التنظيم أمران :

الأمر الأول هو أن أعضاء مجلس الشيوخ والنواب لا يأتون بطريق الانتخاب كما فى الدول الديمقراطية ، بل يأتون بطريق التعيين . فأعضاء مجلس الشيوخ يعينهم الملك بناء على ترشيح الحكومة . وأعضاء مجلس النواب يعينهم المجلس الأعلى ، ويصدق على التعيين الناخبون بطريق القائمة . والناخب يصوت لا كفرد سياسى ، بل كشخص اقتصادى ، فيفرق بين أصحاب الأعمال والعمال والقائمين بالأعمال الفكرية

والأمر الثانى هو أن هـذه الهيئات المختلفة التى تتألف منها الحكومة الفاشية فيها هيئتان جديدتان لا نظير لهما فى الدول الديمقراطية : المجلس الأعلى والمجلس الوطنى للنقابات . أما المجلس الأعلى فهو اللجنة التنفيذية للحزب الفاشى نجح موسولينى فى إدماجها فى الحكومة الايطالية . ويتألف هـذا المجلس من نحو عشرين عضواً يرأسهم الزعيم . وفيهم أعضاء معينون لمدة غير محدودة ، وأعضاء لمدة محدودة ، وأعضاء بحكم وظائفهم . ويختص هذا المجلس بالنظر فى المسائل التشريعية الكبرى ، كسن القوانين الدستورية . وهو الذى تتركز فيه السلطة التنفيذية بعد الزعيم ويعين أعضاء الهيئات التى تتألف منها الحكومة الفاشية والحزب الفاشى . أما المجلس الوطنى للنقابات فيتألف من ممثلين لأصحاب رؤوس الأموال وممثلين للعمال ويرأسه الزعيم . وهو ينقسم إلى فروع تتمشى مع النواحى المختلفة للنشاط الاقتصادى . فتمثل فيه الصناعة الكبرى ، والصناعة الصغرى ، والزراعة ، والتجارة ، والنقل ، والمصارف وغيرها . ذلك أن أصحاب رؤوس الأموال والعمال فى كل ناحية من هذه النواحى منتظمون فى نقابات متدرجة من محلية إلى إقليمية إلى مركزية إلى هذا المجلس الوطنى للنقابات ويتناول اختصاصه بنوع خاص توجيه النشاط الاقتصادى فى البلاد

ومن هذا نرى أن الفاشية ، بحكم المبادئ التى تقوم عليها ، والوسائل التى تتذرع بهـا فى العمل ، والطرق التى تتبعها فى التنظيم ، خصم للاشتراكية من جهة ، وللفردية من جهة أخرى ؛ فموقفها بالنسبة للفرد موقف وسط ، لا تدمجه فى الدولة كما تفعل الاشتراكية ، ولا تطلق له الحرية كما تفعل الفردية

النازية :

وإذ فرغنا من التحدث عن الفاشية فى إيطاليا نقول كلمة موجزة عن النازية فى ألمـانيا . وحتى نختصر الطريق نكتفى فى الكلام على النازية بأن نقارن بينها وبين الفاشية ، فالحركتان تتفقان فى المبادئ ووسائل العمل . ذلك لأن النازية تقدس القومية ، ولكن القومية عندها لا تقوم على رابطة الوطن كما فى الفاشية ، بل تقوم على رابطة الجنس . فالجنس الجرمانى كله ، لا الأمة الألمـانية وحدها ، هو الذى يجب أن يتحد . والنازية كالفاشية توفق ما بين المبادئ الاشتراكية والنزعة الوطنية ، فهى وطنية اشتراكية ذات صبغة عملية . والنازية كالفاشية لا تؤمن بالجامعات الدولية ، فهى ترى عصبة الأمم جامعة خيالية ، وتقيم حرباً عواناً على البلشفية . وقد انتظم هتلر الشيئين فى خطبته التى ألقاها منذ شهر عقب الحوادث السياسية الأخيرة ، فهو يقول : « إن الأمم كانت فريسة للخيالات والأوهام عندما آمنت بعصبة الأمم ،

وإن السلام الذى كان يجب أن يكون حجراً يقفل به ضريح الحرب إلى الأبد أصبح مباءة تنمو فيها بذور ارتباكات جديدة ، وإن الثورة الشيوعية لم تقتصر على وضع طابعها على امبراطورية من أعظم الامبراطوريات فى العالم ، بل اتجهت أيضاً إلى الشعوب المجاورة . فهنالك جيوش مؤلفة من ملايين من الرجال تذهب إلى الحرب لاشعال ثورات عالميـة من أجل الشيوعية ، وتجند هذه الملايين بدعوى السعى إلى إبطال الحروب . . »

والنازية كالفاشية تجعل الحكم للأقليـة الصالحة ، ويقول هتلر فى هذا المعنى : « نريد رجالاً قليلين من الطبقة الحاكمة الجديدة ، هم الذين يؤمنون بأن لهم الحق فى أن يحكموا لتفوقهم ، ويبسطون سلطانهم دون تردد على السواد من الجماهير » . على أن هذه الأقلية الحاكمة تدين كلها بالخضوع والولاء للزعيم الأكبر

والنازية كالفاشـية فى نزعتها الاستعمارية العسكرية . فهى تذهب إلى أن العلم الحديث يولد إيماناً لا يتزعزع فى القيمة الخلقية العليا للحرب . ويقول الدكتور جوبلز : « إذا حاولت أن تقمع الحرب ، فانك تكون كمن يحاول أن يقمع حركات الطبيعة »

والنازية كالفاشية فى الظروف التى نشأت فيها . فقد قامت النازية عقب خروج ألمـانيا من الحرب مهزومة . وكان للاضطرابات التى أحدثها الاشتراكيون الألمـان ، والاضرابات التى نظموها ، أثر حاسم فى هـذه الهزيمة . وقد سام الحلفاء المنتصرون ألمانيا المهزومة فى شروط الصلح خسفا جرح كبرياءها ، وفى وسط هذه الغيوم المتلبدة سطع نجم مؤسس النازية ، بعـد أن أقام حركته لمقاومة البلشـفية ، ولانقاذ الوطن الجرمانى ، وبعثه من جديد

والنازية كالفاشـية أخيراً فى شخص الزعيم . ففى إيطاليا موسولينى القائد المحرك (Duce) ، وفى ألمانيا هتلر القائد المرشد (Führer) ، هـذا وراءه النازى فرقاً منظمة وهم ذوو القمصان السمراء ، وذاك وراءه الفاشستى أى فرق الـكفاح ، ذوو القمصان السوداء . وقد لجأ الرجلان إلى أساليب واحدة فى تنظيم معسكريهما : خضوع مطلق لسلطان الزعيم ، ونظام عسكرى دقيق ، وروح وطنية حربية ، وشبان يحتشدون بالألوف ، ويدخلون أفواجاً فى هذا الدين الجديد . وكل من الفاشـية والنازية دين ينطوى على إيمان عميق . ولهـذا الدين فرائضه ومناسكه ، تتمثل أوضاعاً ورسوما ، فمن حركات عسكرية ، إلى أعلام خفاقة ، إلى إشارات رمزية ، إلى شارات موضوعة ، إلى أناشـيد محفوظة ، إلى لباس خاص

والرجلان قد رزقا موهبة الخطابة وقوة البيان ، والقدرة على اجتذاب شعور الجماهير . وهما إنما يبشران بدين وإيمان ، وقوة الايمان يغذيها سحر البيان . والرجلان من رجال العمـل لا من رجال الفكر ، فهما لا يترددان ولا يتمهلان ، بل يسيران قُدُماً إلى الأمام

والرجلان يتشابهان نشأة وتربيـة وقوة وسطوع نجم . نشآ فى التربة والمسغبة ، موسولينى أبوه حداد ، وهتلر أبوه مستخدم صغير فى الجمارك النمساوية . وعاش الاثنان عيشة الـكفاف ثم هجرا بلديهما ، فذهب موسولينى إلى جنيف ، حيث اشتغل عاملاً فبناء ؛ وذهب هتلر إلى ڤينا ، حيث اشتغل عاملاً فرساما . وقد تربى كل منهما فى مدرسة واحدة ، هى مدرسة البؤس والشقاء ، تلك المدرسة التى كثيراً ما تنبت عظماء الرجال . فتعلما فيها صلابة العود ، وقوة العزيمة ، ومجالدة الفاقة ، ومنازلة الأخطار ، وتخرج كل منهما قوى الشكيمة شديد المراس . وأتما تربيتهما معاً فى مدرسة أخرى ، هى مدرسة الحرب الـكبرى ، إذ تقدم كل منهما إلى هذه الحرب ، فخاض غمارها ، واصطلى بنارها ، وعانى أهوالها ، وجرح فى معاركها ، وأبلى فيها بلاء حسـنا ، وخرج منها وقد استكمل النضوج ، واستوفى الرجولة ، وسار إلى ما هيأته له الأقدار

وأسس موسولينى أول فرقة للـكفاح (fascio di combattimento) فى ميلان سـنة ١٩١٩ من مائة وأربعين رجلاً ، وتزايدت فرق الـكفاح ، ونظمت تنظيماً عسكرياً دقيقاً ، فأمكنه أن يحشد بعد ثلاث سنوات مائتى ألف من الرجال ، استولوا على إيطاليا الوسطى وسبعين ألفاً زحفوا على روما ، وقبضوا على ناصية الحكم بالقوة . وهو الآن فى قصر ڤينيسيا يصرف أقدار أمة كبيرة ويحكمها حكماً دكتاتورياً . وذهب هتلر بعد الحرب إلى مونيخ ، وهناك انضم إلى حزب صغير غير معروف ، فأخذ يقويه ، وينفخ فيه من روحه حتى حشد فيـه الآلاف من الرجال . وسجن عقب إخفاقه فى

ثورة أراد بها قلب الحكم فى بافاريا ، وكتب فى السجن كتابه الذى أسماه : « جهادى Mein Kampf » ولما أطلق سراحه ، جمع شتات حزبه وكان قد تفرق . وعاد إلى الجهاد ؛ ثم أخذ يستولى على مشاعر الأمة الألمانية شيئاً فشيئاً ، حتى ضمها تحت لوائه ، وأصبح الآن هو المسيطر على سبعين مليوناً من البشر من أعظم الشعوب وأرقاها ، يخضعون لاشارته ، ويدينون له بالولاء

بقى أن نقول إن الفاشية والنازية تنازلان البلشفية بنفس سلاحها . فهما كالبلشفية تحكمان حكما دكتاتوريا ، وهما كالبلشفية أيضاً تخضعان النظام السياسى للنظام الاقتصادى . والمعركة قائمة بينهما وبين البلشفية ، فأى المعسكرين يكتب له الانتصار ؟ هذا هو السر المخبوء فى عالم القدر . على أن الحوادث السياسية الأخيرة وبنوع خاص تلك المحالفة التى عقدتها فرنسا مع روسيا البلشفية والتى أثارت سخط خصوم البلشفية حتى بين الفرنسيين أنفسهم ، قد تعجل بالمعركة الفاصلة ، وقد تغرق أوروبا من جديد فى بحار من الدماء

على أنه سواء تغلبت البلشفية فى المعركة القادمة ، أو انتصرت الفاشية والنازية ، فالواقع من الأمر أن كلا الخصمين مشبع بروح الدكتاتورية البالغة فى التطرف ، وأن الصريع بينهما هى الدمقراطية على كل حال . وقد صار واجبا على الديمقراطيين أن يراجعوا أصول الديمقراطية من جديد ، حتى تتمشى مع ما يقتضيه هذا التطور السريع

***

والآن وقد انتهينا من استعراض الحركتين الفاشية والنازية وانتهينا بذلك من استعراض النهضات القومية فى أوروبا منذ العصور الوسطى إلى الآن ، نختتم هـذه المحاضرة بايراد بعض النتائج العامة التى نستخلصها من تطور هذه النهضات ، ونكتفى منها بثلاث :

النتيجة الأولى : هى أن رابطة الدين التى كانت تسود فى العصور الوسطى قد زال سلطانها فى العصور الحديثة . وقد انفصلت الكنيسة عن الدولة . ولا نعنى بذلك أن سلطان الدين قد زال من القلوب ، فان الانسانية لا غناء لها عن الدين مهما بلغ حظها من التقدم . ولكن عرش الدين مكانه القلوب والضمائر . أما الروابط الاجتماعية فتتصل بالدين من جانبه الاجتماعى ، لا من جانبه الاعتقادى

والنتيجة الثانية هى أن الفرد فى أوروبا لم يتحرر إلا بعد أن تحرر المجموع . والديمقراطية التى حررت الفرد لم تقم إلا بعد أن تدعمت الوطنية التى حررت الأمم . وليس فى هذه النتيجة العملية خروج على المنطق ، ولا انحراف عن طبيعة الأشياء ، فالفرد جزء من المجموع ، فكيف يكون الجزء حراً إذا كان المجموع مقيداً فى ربقة الأسر ؟

والنتيجة الثالثة والأخيرة هى أن القوميات فى أوروبا عندما تكونت أسرفت فى التعصب ، وتطرفت فى الاستئثار . وتقهقر الجانب الايجابى من الوطنية ، وهو حب الانسان لوطنه أمام الجانب السلبى وهو بغضه للأوطان الأخرى ، وحل التعصب للوطن محل التعصب للدين ، فكان من ذلك أن هزت الحروب أركان أوروبا ، واندلعت نيران التعصب للوطن بعد أن نشأت الوطنية وترعرعت ضيقة هوجاء ، وأصبحت لا تتسع للاندماج فى روابط الجنس والدم . وتعانى أوروبا الآن من تقطع وشائج القرابة ما بين الأمم الأوروبية ما تقف أمامه عصبة الأمم عاجزة دون حول . فما كان أولى برابطة الوطن أن تتوثق فى ظل رابطة الجنس ! وما كان أولى برابطة الجنس أن تتوثق فى ظل رابطة أوسع ! وهكذا تدعم كل رابطة أختها ، فتحقن الدماء ويسود السلام ؟

عبد الرزاق احمد السنهورى

صور من القرن الثامن عشر

٤ - جاكومو كازانوڤا

جوّاب مجتمع ومغامر مرح

خاتمـــة البحث

للأستاذ محمد عبد الله عنان

والآن وقد استعرضنا سيرة ذلك الجوّاب المرح والمغامر الجرىء، نحاول أن نستعرض جوانب شخصيته ومناحى نفسه، وأن نقرأ فى حوادث حياته لمحة من خلال العصر الذى عاش فيه:

كان القرن الثامن عشر عصر تطور فكرى واجتماعى عميق، وكان أيضاً عصر انحلال فكرى واجتماعى، وكان المجتمع الأوربى القديم ينحدر يومئـذ إلى نوع من الخمول والدعة، ويجنح إلى تذوق متاع الحياة المـادى بكل ما وسع من رغبة وهوى؛ وكان كازانوڤا يمثل روح عصره وخواص عصره، بل كان يمثل رذائل عصره أتم تمثيل وأصدقه؛ وكان يمثل بالأخص الجانب المـادى من هذه الخواص والرذائل، فكانت خلاله مزيجاً من الاستهتار والمرح، والجرأة والطموح، والعزم والخمول؛ وكانت غاية الحياة عنده هى الحياة ذاتها بما فيها من متاع ولذائذ وترف. كان كازانوڤا يحب الحياة حباً جما، وهو يصفها فى مذكراته «بأنها هى الشىء الوحيد الذى يملكه الانسان حقا»، ويشبهها «بغانيـة حسناء يعشقها الانسان، ويهبها ما شاءت ما دامت باقية عليه»؛ وهذه الفلسفة المـادية المحضة هى التى تغمر حياة كازانوڤا وتوجهها

وهذه النظرة المـادية إلى الحياة، وهذه الفلسـفة المستهترة المرحة، وهذه الخواص السقيمة المنحلة، تقدمها إلينا مذكرات كازانوڤا بصورة بارزة؛ والواقع أن هذه المذكرات الشهيرة التى تشغل عدة مجـلدات كبيرة، إنمـا هى صورة قوية جامعة لمجتمع القرن الثامن عشر وخواصه وفضائله ورذائله؛ وهى ليست قصة كازانوڤا فقط، ولـكنها قصة جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية فى هذا العصر؛ ففيها نرى حياة المغامر الجرىء، والمشعوذ الأفاق، والعاشق المضطرم، والسيد المنعم، والشريد البائس؛ وقد كان كازانوڤا كل أولئـك، وكان له كل خلالهم ورذائلهم، وهؤلاء جميعاً يملأون فراغ حياته

وهـذه المذكرات الشهيرة هى أسطع ما فى حياة كازانوڤا، وهى التى خلدت ذكره. ذلك أن كازانوڤا لم يكن فى ذاته شخصية هامة ولم يكن من رجال التاريخ، ولـكن حياته العجيبة تقدم إلينا مزيجاً مدهشاً من الفلسفة المـادية والاجتماعيـة يستحق الدرس لذاته؛ وقد عنى فى أواخر أيام حياته أن يدون سيرته بكل ما فيها من حوادث مدهشة، وفلسفة مرحة، وفضائح مزرية، وكل ما فيها من شذوذ وخبائث. وقد رأيناه فى أواخر حياته يستقر فى قصر دوكس، فى ذلك المقام النائى المنعزل، ويقطع أوقاته بالقراءة والـكتابة؛ وكان كازانوڤا أديباً مفكراً، حسن البيان والأسلوب؛ وكان تدوين سيرة حياته أعظم عزاء له فى شيخوخته؛ فقـد كانت هذه الصحف الممتعة تحمله من ذلك القصر النائى، ومن غمار الشيخوخة والعزلة والبؤس، إلى المـاضى الباهر؛ إلى الأيام الخالية بكل ما فيها من متاع وترف، إلى أمسية الحبور والمرح، إلى المدن والمجتمعات التى جابها، وإلى مختلف النساء اللائى ظفر بهن. وكان أثناء حياته الحافلة قد جمع كثيراً من المذكرات والمواد لـكتابه، ومنها رسائل من أصدقائه وصاحباته، ومذكرات كان يدونها على الأثر، هذا إلى ما تعيه ذاكرته القوية من الحوادث والتفاصيل

وقد بدأ كازانوڤا كتابة مذكراته فى سنة ١٧٩١، واستمر فى كتابتها عدة أعوام، ولبث يستعيدها ويهذبها حتى سنة ١٧٩٨، قبيل وفاته بأشهر قليلة؛ وكان يكتبها بشغف وتأثر، إذ كان يرى تلك الحياة الساطعة الذاهبة تمر أمام عينيه وتبعث إليه ذكريات المجد والصبا؛ وكان يعتزم إصدار الجزء الأول منها منذ سنة ١٧٩٧، ولـكن الموت عاجله، ولم يتح له تنفيذ أمنيته

ولم تظهر مذكرات كازانوڤا الا بعد وفاته بحين؛ وكان ظهورها حادثاً أدبياً كبيراً. ذلك أنها لم تكن فياضة بالسير العجيبة

فقط، ولكنها كانت أيضاً قطعة فنية بديعة تنعكس عليها جميع أحوال العصر الذى عاش فيه صاحبها، أعنى القرن الثامن عشر، وجميع صوره وأحوال مجتمعه. وتشغل هذه المذكرات الممتعة عدة مجلدات كبيرة، وهى عمدتنا الأولى فى سيرة كازانوفا وفى تفهم نفسيته وخلاله، وفيها يقص حياته منذ مولده بإفاضة، ويستعرض جميع وقائعه ومغامراته الغرامية مع نساء العصر من كل الطبقات، ويصف رحلاته العديدة إلى مختلف البلاد، ويصف لنا مجتمعات العصر وأحواله وأخلاقه وعاداته؛ كل ذلك بقوة وإفاضة وبيان شائق؛ وقد كان كازانوفا فى الواقع رحالة عظيما، وكان يتمتع بمواهب بديعة فى الملاحظة والدرس والوصف وفى تفهم عقلية الأفراد والطبقات؛ هذا إلى خيال خصب يسبغ على قصته كلها طابعاً من السحر؛ وقد يطبع بعض أقواله ومزاعمه أحيانا طابع من المبالغة، ولكن ذلك لا ينتقص من متاع قصته وسحرها.

وقد لفتت مذكرات كازانوفا منذ ظهورها فى أوائل القرن التاسع عشر أنظار النقد الأدبى، فنوه بعض النقدة بقيمتها الأدبية، وحمل عليها البعض الآخر؛ وأبدى سانت بيف أستاذ النقد نفسه عطفه عليها وعلى مؤلفها ذلك المحب الأمثل الذى لم يسمح قط للمرأة بأن تسوده؛ ولكن چول جانان وهو ناقد آخر يحمل عليها ولا يرى فى مؤلفها سوى دعى أفاق تحدوه شهوات مضطرمة؛ وكذلك يرى فرانسوا ماسون فى كتابه عن «الأب برنى» أن هذه المذكرات ليست سوى مزيج من الأكاذيب المزرية؛ بيد أن النقد المعاصر يرى فى مذكرات كازانوفا أثراً جديرا بالتقدير، ويرى فى صاحبها شخصية جديرة بالعطف رغم عيوبها ومثالبها؛ ومن ذلك ما يعلق به مسيو أوكتاف أوزان على المذكرات فى فصل نقدى كتبه فى هذا الموضوع: «لماذا ننحى باللوم على ذلك المحب المعاصر للويس الخامس عشر، لأنه أرانا وعرض علينا خلال عصره المنحل، وهى خلال كانت تعتنقها أعظم الشخصيات التى كتب عنها؟ وهل يحق لنا أن نمعن فى الانتقاص من ذلك السرور الذى يتحفنا به عند قراءة «المذكرات»، وأن نحمل على تلك الأخلاق الفردية المثيرة؟ ... إن كازانوفا لم يكن أفضل ولم يكن أسوأ من أعظم الشخصيات التى ظهرت على مسرح العالم فى القرن الثامن عشر» (١)

***

وتقدم الينا هذه المذكرات الحافلة الممتعة كازانوفا فى جميع صوره ومناحيه؛ فى صورة المحب المضطرم الذى يطارد المرأة بكل ما وسع من شغف وجوى، ويأسرها بظرفه وسحره، ويظفر بها فى كل المواطن؛ وصورة المغامر الجرئ الذى يتسلح بذكائه وخبثه ومزاعمه ليغزو المجتمع ويعيش على هامشه بأى الوسائل؛ وصورة السائح المتجول الذى يجوب أوربا من أقصاها إلى أقصاها باحثاً عن المال والمتاع أنى استطاع؛ وصورة السيد الذى ينعم بالمال والثراء، أو صورة الشريد الذى لا يملك قوت يومه؛ وأخيرا صورة المفكر الأديب الذى يلتمس النسيان فى القراءة وتسطير الماضى

وتبذ صورة المحب المضطرم فى شخصية كازانوفا كل صوره الأخرى، وهى بلا ريب أبرز صور حياته كما هى أبرز الصور فى مذكراته. أجل كان كازانوفا محباً شغوفا ملتهب الجوانح، وكانت المرأة عنده غاية الغايات، وقد حبته الطبيعة كما أسلفنا بكل ما ينبغى أن يتسلح به المحب الظافر من خلال وصفات خلابة، ويندر أن نجد بين غزاة المرأة من غص بالظفر فى هذا الميدان كما غص به كازانوفا، وما زال اسم كازانوفا إلى يومنا لقب المحب الظافر؛ ولقد كان كازانوفا مادياً فى حبه كما كان فى سائر وجهات حياته، ولم تكن العاطفة عنده شيئاً مذكورا، وكان قلباً فى الحب لا يكاد يظفر بغزو حتى يسعى إلى غزو آخر، وكان يرتفع فى طموحه إلى أرفع البيئات والشخصيات، وينحط إلى أسفل البيئات والمواطن، فنراه يظفر بطائفة من أكابر السيدات فى جميع المجتمعات التى تقلب فيها من نبيلات ونسوة متزوجات وممثلات ومغنيات وغيرهن، ونراه يهبط أحياناً إلى مجتمع الشعب المتواضع فيغزو عاملة أو خادمة؛ واليك مثلاً مما يقصه علينا فى مذكراته مما يوضح فلسفته فى الحب، ففى ذات يوم كان ينتظر جياداً لمركبته فى طريق رومه، فمرت به عربة تحمل مغنية حسناء ذائعة الصيت يومئذ، وكان كازانوفا يعشق المغنيات والممثلات بنوع خاص، ولكنه يقول لنا: «ومع أنها كانت فتية وكانت

(١) وقد ترجمت مذكرات كازانوفا من الايطالية الى معظم اللغات

حسناء ، فانها لم تثر فى نفسى رغبة ما ، ذلك أنها كانت حسناء جداً ، بادنة جداً . ولكن خادمتها كانت بالعكس فتاة سمراء ساحرة ذات قد ممشوق وعينين وضاءتين ، فوقعت فى حبها على الأثر »

ويذكر لنا كازانوفا فى مذكراته عشرات وعشرات من النساء اللائى ظفر بهن خلال حياته الغرامية الحافلة . وهو تعداد لا يتسع له المقام هنا ، وقد ذكرنا فيما تقدم طائفة من الأسماء التى غزاها ابان ازدهار مغامراته ؛ والظاهر أن كازانوفا لم يتأثر فى حياته بحب امرأة وسحرها قدر ما تأثر بحب راهبة حسناء من « ميران » يرمز لها فى مذكراته بحرفى « م . م » ؛ وهو يصف لنا روعة قوامها وروعة جمالها بحماسة مؤثرة ؛ وقد كانت م . م فى الواقع امرأة ساحرة الخلال تضطرم شغفاً وجوى ، وكانت تخفى تحت ثيابها الكهنوتية نفساً ناعمة تواقة ملتهبة ، وكانت تقتحم أروع الأخطار لتحيا تلك الحياة المزدوجة ؛ حياة التقشف فى الدير ، وحياة اللهو والقصف خارج الدير ؛ وبينما ترى بالنهار فى ثياب راهبة محتشمة ، إذا بها تسطع بالليل كالحلية فى مرقص أو منتدى وتبذ بفائق حسنها وأناقتها كل حسناء أخرى ؛ وقد كانت تطلق العنان لشهواتها المضطرمة ماشاءت ، ولكنها كانت قوية النفس تضبط هواها متى وجب ؛ ويصورها كازانوفا بأنها المحبوبة المثلى فى حسنها وفى خلالها وسحرها ؛ وقد ترك هواها فى نفسه بلا ريب أعمق الآثار وأبقاها

ثم يأتى بعد صورة المحب ، صورة السائح ؛ وقد كان كازانوفا سائحاً عظيماً يجوب أرجاء القارة بلا انقطاع ؛ وكان يعشق التجوال فى عصر كان السفر فيه مشقة حقيقية ؛ وقد رأيناه يجوب أرجاء القارة مراراً ؛ وكان كازانوفا يجد فى السفر لذة عظيمة ، ويتخذ أثناء تجواله مظاهر السيد العظيم فيستأجر أفخر المركبات والجياد ، وينزل فى أفخم الفنادق ، وينثر المال والعطاء من حوله ، ولكنه كان فى رحلاته مغامراً ، لا تغريه سوى رغباته وأمانيه ، ولا تغريه مشاهد الطبيعة الرائعة ؛ ولهذا نراه فى مذكراته يعنى بسرد مغامراته أثناء الطريق ، وسرد ملاحظاته عن الأشخاص والحياة والنساء بنوع خاص ؛ وقلما نراه يعنى بوصف البلاد أو مشاهد الطبيعة ؛ بيد أنه يبدى فيما يصف من أحوال المجتمعات والأشخاص دقة تدلى بقوة ملاحظته وحسن أدائه

ويقدم كازانوفا إلينا خلال حياته صورتين قويتين متباينتين ؛ فنراه إما سيداً كبيراً ينعم بالجاه والثراء ، وإما شريداً بائساً يتخبط بين براثن الفاقة ؛ وفى الحالة الأولى نراه يقتحم المجتمع الرفيع ، وينعم بكل ما فى الحياة من متاع وبذخ ، ويصل الى مجالسة الملوك والأمراء والعظماء من كل ضرب ؛ ألم يجالس لويس الخامس عشر وفردريك الأكبر ، والامبراطورة كاترين ، والبابا ، وفولتير ، وغيرهم من أكابر العصر ؟ ثم نراه فى كهولته شريداً بائساً يتقبل فى سبيل القوت مضض المهانة والمذلة ؛ بيد أنه فى الحالين يحتفظ بقوة نفسه ، وأثرته ، وأمانيه ؛ ذلك أن كازانوفا كان فيلسوفاً يقصد إلى الحياة بأى الوسائل ، ولا يروعه أن يحقق متاعها بأى السبل ، ولم يكن المال فى نظره إلا وسيلة من وسائلها

وقد كان كازانوفا منذ نشأته رجلاً مثقفاً واسع المعرفة بالنسبة لمجتمع عصره ؛ وكان فى أواخر حياته يعتز بمواهبه العلمية والأدبية ويأنس سعادة عظيمة فى اطلاق العنان لقلمه ؛ ولم تكن المذكرات كل ما يكتب ، فقد كان يتصل بالمكاتبة بجماعة من أعلام عصره ، وكانت له آراؤه الخاصة فى أحوال العصر وأحداثه ؛ وكان يسخط على الثورة الفرنسية ويعتبرها حركة جنونية وقد كتب برأيه الى روبسبيير فى رسالة مستفيضة

والخلاصة أن كازانوفا ، كان رغم رذائله ، شخصية عجيبة ؛ وكانت حياته صورة صادقة للعصر الذى عاش فيه ، وهى من هذه الناحية تستحق التحليل والدرس ؛ ولقد كان لهذا المغامر المرح أصدق سلف وشبيه فى مواطنه بنفونوتو تشلليني ؛ فقد خاض كلاهما حياة مماثلة ، واشتركا فى كثير من الخلال والخواص النفسية ، وسطر كل منهما حياته بقلمه ؛ ولكن تشلليني كان علماً من أعلام الأحياء وبطلاً من أبطال الفن ؛ أما كازانوفا فلم يعش إلا لنفسه ، ولم يتبوأ فى مجتمع عصره سوى مكان ثانوى وكانت حياته مزيجاً من الأهواء الجامحة ، والأثرة العميقة ، والشهوات المادية ، والمرح العقيم (١) ؟

(تم البحث — النقل ممنوع) **محمد عبد الله عنان**

(١) نرى أن نشير هنا إلى أننا انتفعنا فى كثير من نواحى هذا البحث بالأثر القيم الضخم الذى وضعه عن كازانوفا الكاتب الفرنسى الكبير مسيو Joseph Le gras وعنوانه :

L'Extravagante Parsonalité de Jaeques Casanova

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

الدفتريا

بين واجد سمها الفرنسى ، وكاشف ترياقها الألمانى

وصل الفائت : وجد لفلارمكروب الدفتريا ، ووجد رو أن هذا المكروب يحتل زور الطفل ، ولا يخرج عنه ، وإنما يفرز سما يدور فى الجسم فيقتل ، وحقن بارنج مادة كيميائية هى كلورور اليود فى خنازير غينية . ثم حقن مكروب الداء فيها فصمدت له . فأخذ من مصل دم هذه الخنازير المحصنة وحقن به خنازير أخرى حقنها بعد ذلك بالمكروب فصمدت له . فعرف أن هذا المصل الحصين يحتوى ترياقاً . فاتجه إلى الشياه يفعل بها ما فعل فى الأرانب ليحضر مقادير كبيرة من المصل الواقى بترياقه

بهذا بلغ بارنج من بحثه حداً لا ينفع فيه التثبيط . فقد كان كأمير الجند غزا الأعداء فسفك وهزم ، فلأنه فتوحاته الأولى ثقة بنفسه . فلم يعد يثنيه عن بغيته شىء . فأخذ يضرب بمحاقنه فى الأرانب والشياه والكلاب ، وهى مليئة بمكروب الدفتريا تارة ، وبسمها تارة ، وبكلورور اليود تارة أخرى ، وحاول أن يتخذ من أجسام هذه الحيوانات وهى حيّة مصانع تصنع له هذا المصل الواق ، هذا المصل الذى يقتل سم الدفتريا ، وأسماه الأنـْتيتُكْسين Anti-toxin ، ولْنسمّه نحن الترياق ، ونجح فى الذى حاوله ، ولكن بعد أن قتّل من هذه الحيوانات ما شاء ، وقطّع من أوصالها ما أراد ، وبعد أخطاء أتاها كثيرة هى دائماً مقدّمات النجاح ، ولم يمض طويل من الزمن حتى نجح فى تحصين الشياه تحصيناً قوياً ، واستدرّ منها دماً كثيراً واستخلص منه مصله ، ثم قال : « لا شك أن الترياق الذى بهذا المصل يقى من الدفتريا » ، ولم يكن يعلم عن حقيقة هذا الترياق ، ولا عن كيميائه شيئاً

وحقن مقادير صغيرة من هذا المصل فى عدد من الخنازير الغينية ، وفى اليوم الثانى حقن فيها بشلة الدفتريا ، وهى حية قاتلة ، فما كان أجمل مرأى هذه الخنازير بعد ذلك وهى تنط وتلعب ولا أثر للداء فيها ، كذلك كان مرأى صويحباتها الأخريات التى حُقنت بالبشلة دون المصل ، وهى تموت بعد الحقنة بيومين أو ثلاثة ، فموت هذه الأخيرة هو الذى أقنع بأن المصل فيه الوقاية وفيه الحصانة ، وأجرى بارنج مئات من هذه التجارب الجميلة ، وكان الآن يحذق التجريب فلم يكن فى يده تذبذب واضطراب كالذى كان بها قديماً . وتساءل أعوانه فى قنوط متى يفرغ سيدهم من هذه المجزرة المتكررة ، متى يفرغ من تحصين طائفة من الخنازير ثم اعطائها الداء ، ثم من قتل طائفة أخرى ليثبت بها حقاً أنه خلّص بمصله الطائفة الأولى ، ولكن بارنج لم تعوزه العلة يفسر لنا بها كثرة ما قتل من هذه الخنازير . قال فى أحد تقاريره الأولى : « لقد جربنا من هذه التجارب عدداً كبيراً لنثبت لكوخ ، وهو المحقق المدقق القليل التصديق ، إلى أى حدّ بلغ بنا الايمان بحصانة هذه الحيوانات »

نجح بارنج فيما أراد إلا أمراً واحداً أفسد عليه طعم الثمرة التى اجتناها . ذلك أن حصانة الخنازير لم تدم طويلاً ، فالخنازير لم تكن تَصْمُد للحقنة الكبيرة من سم الدفتريا من بعد تحصينها إلا أياماً معدودات ، فاذا مضى على التحصين أسبوع أو أسبوعان لم تَعُدْ تصمد لها ، وكلما استطال الزمن أخذت حصانتها تقل تدريجا ، وأخذ مقدار السم الذى يكفى لقتلها يصغر تدريجا . وعمد بارنج إلى لحيته يشد شعراتها وهو يتمتم لنفسه : « ليس هذا من العمليّ الممكن فى شىء ، فليس بالمستطاع الطواف بكل أطفال ألمانيا لحقنهم بمصل الشياه كل أسبوعين أو ثلاثة » . ومما يؤسَف له أنه نفض يده بعد ذلك من البحث الجميل الذى هو فيه ، وترك المطلب الاسمى الذى كان يطلب به طريقة لمنع داء الدفتريا أن يحدث واستئصاله فلا يكون ، واستعاض عنه بطلب دواء له اذا هو كان ، فنزل بنفسه منزلة دنيا رجاء أن يأتى بأمر جليل تفتح له السلطات من الدهش أعينها واسعة

قال : « إن هذا الكلورور اليوديّ له أثر سىء فى الخنازير

الغينية لا ينقص كثيراً عن أثر المكروب ذاته . ولكن هذا المصل الواقى ليس له أثر سيء فيها ، فهو لا يلهب جلدها ولا يحدث خُرّاجات فيه ... وأنا على يقين أنه لا يؤذيها ... وأعلم غير هذا أنه يحصنها فيقتل فيها سم الدفتريا إذا هو جاءها بعد التحصين ... فليت شعرى أيقتلها كذلك إذا هو جاءها قبله ؟ ... واختصاراً أيكون فى هذا المصل شفاء من الداء بعد كينونته ؟ »

وجاء بارنج بطائفة كبيرة من الخنازير الغينية وحقن بشلات الدفتريا فيها . فلما كان الغد وجد المرض قد دبّ فيها ، وأصبح الصباح التالى فاذا بها ساقاة على أظهرها فى همود منذر وهى تتنفس جاهدة . عندئذ قام بارنج فحقن فى بطونها مقادير وافية من مصل الشياه الحصينة . فوقعت المعجزة الكبرى ، فأخذت الخنازير ، إلا القليل الأقل منها ، تسترجع أنفاسها بعد برهة قصيرة . ولما جاء الغد أرقدها بارنج على ظهرها ، فاذا بها تنط فتقوم على أرجلها ، وعلى أرجلها ثبتت . وفى اليوم الرابع تمت سلامتها فكأن الداء لم يصبها أبدا . أما الأخريات التى حقنت بالمكروب دون المصل فحملها الخادم هامدة باردة إلى حيث تحمل الميّتات .

إذن لقد شَفَى المصل من الدفتريا !

وزاط المعمل العتيق من أجل هذا الفتح الجديد التى أتاه بارنج العالم الشاعر ، الخاطىء الصائب ، العاثر الناهض . وملأ الأمل القلوب بأنه لابد سيشفى الأطفال من بعد هذا . وأخذ يعدّ أول مصل يحقنه فى طفل على وشك الموت بالداء . وبينا هو يتجهز لهذه التجربة الخطيرة جلس يكتب تقريره الشهير ويصف فيه كيف تأتى له أن يخلص حيواناته من الموت بحقنها بمادة جديدة عجيبة غريبة اصطنعها لها فى أجسام أخوات لها جازفت بحياتها فى سبيل ذلك من أجلها . كتب بارنج : « ليس لدينا طريقة مؤكدة لتحصين الحيوانات » . وكتب « وهذه التجارب التى قيّدتها لا تتضمن مجهوداتى الناجحة وحدها » . وصدق فى هذا ، فهو قد أثبت فيها مجهوداته الفاشلة وأظانينه الخاطئة إلى جانب ما حباه به الحظ من توفيقات صائبة نال بها هذا النصر الدموىّ المظيم

لشد ما أعجب كيف استطاع هذا الشاعر أن يسبق الى كشف ترياق الدفتريا ، وأن يفوز بهذا المجد الخالد! ولكنى أفكر فأجده انما تحسس فاهتدى كما تحسس من قبله واهتدى رجال قدماء ، لا نعرف لهم اليوم أسماء ، اخترعوا الأشرعة التى تحمل السفائن عَبْرَ البحر فى سرعة البرق الخاطف . هؤلاء الرجال الأبطال المجهولون ، كم منهم من انقلب به السفين ، وكم من جثثهم ما أشبع البحار ! أليست هذه دائما هى سبيل الكشوفات جميعها ؟

وفى أواخر عام ١٨٩١ كان فى شارع إبريك Brick ببرلين دار للتمريض تُدعى دار برجمان Bergmann . وكان بها أطفال فعلت الدفتريا بهم فعلها فهم ينتظرون الموت القريب . وكانت الليلة ليلة عيد الميلاد . فى هذه الليلة دخلت إبرة صغيرة لحقن ملء بالمصل لأول مرة فى جلد طفل لم يعد له فى الشفاء رجاء . فصرخ الطفل ورفس برجله قليلا

ما أبهر النتائج التى جاءت من هذه الحقنة الأولى ومن أخوات تَبِعْنَها ! نعم بعض الأطفال مات . ونعم كذلك مات طفل كان ابن طبيب شهير فى برلين ميتة غريبة غير منتظرة عقب الحقنة مباشرة فحصل من جراء ذلك أخذ ورد وجلبة كبيرة . ولكن لم تمض الأيام حتى قامت مصانع كيميائية كبيرة بألمانيا تصنع هذا المصل فى قطعان كثيرة من الشياه . ولم تمض ثلاث سنوات حتى بلغ الأطفال الذين حقنوا بهذا الترياق عشرين ألفا . وسار الخبر سريعاً كالشاعة فى الناس . وكان بِجْز Biggs مديرُ الصحة الأمريكى الشهير فى أوروبا ، فلما اطلع على أمر الترياق ، هزّه ما وجد منه فبعث البرقية الآتية وهو متأثر ثائر الى الدكتور بَرْك Park بنيويورك :

« ترياق الدفتريا ناجح . ابدأ بصنعه »

وكان كوخ أساء إلى ناس كثيرين بسبب علاجه الفاشل القاتل للسل ، وبسبب الأرواح الكثيرة التى ضاعت من جرائه . وكانت أقوام كثيرة لا تزال فى حزن قريب بسبب من فقدوا . ولكن كشف بارنج أنساهم ماهم فيه ، فغفروا لكوخ الشيخ زلته لأنه أنجب هذا الصبىّ البارع

(يتبع) أحمد زكى

الاسلام والمدنية والعلم

طريقة النظر فى العلم وفى الاسلام

بقية ما نشر فى العدد الممتاز

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

بقى أن نقارن بين طريقة العلم فى دراسة الفطرة والطريقة التى شرعها الاسلام للانسان فى النظر لنرى إن كان بينهما من التطابق مثل الذى تبين فى المقال السابق أنه موجود بين العلم والاسلام

والأصل الأول عند العلم فى النظر هو العقل ، وكذلك هو فى الاسلام . إن القرآن الكريم كله ينطق بأن الاسلام قام على العقل ، وحاكم إلى العقل ، وأمر باتباع العقل ، بمختلف أساليب البيان ؛ فتارة يتلطف ويرغب فى استعمال العقل والفكر : (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) ، (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) . وتارة يظهر التعجب الشديد والتأفف من تعطيل العقل : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) ، (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عُمُراً من قبله ، أفلا تعقلون) . وتارة يمدح أهل العقل ويخصهم بالخطاب : (وما يذّكر إلا أولو الألباب) ، (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) ، (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) ؛ ثم تارة يسلك سبيل الذم البالغ لمن يهملون عقولهم ويعطلونها : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) ، (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) وفى هذا ما فيه من توكيد ناحية العقل وتنبيه الانسان إلى أن من أخص خصائصه التفكير والتدبر والفهم والتعقل ، فلا ينبغى له التنزل عن أخص خصائصه بتعطيل عقله وإلا فقد تنزل عن انسانيته وصار فى الأنعام أو شراً من الأنعام

ولقد بلغ من إكبار الاسلام العقل وتوكيده واتخاذه أصلاً ومرجعاً أن أباح للمسلم إذا تعارض العقل والنص أن يؤول النص إلى ما يقضى به العقل . والعقل هنا طبعاً ليس هو عقل الفرد ، ولكن عقل المجموع ؛ ليس هو العقل الخاص الذى يجوز عليه الخطأ ، وكثيراً ما يخطئ ، ولكن هو العقل العام الذى يستحيل عليه الخطأ ، والذى لا يقتنع بشيء إنه الحق إلا إذا قام عليه الدليل القاطع . فتشريع الدين تأويل النص إلى ما يوجبه العقل أو بالأحرى إلى ما يطابق ما ثبت عند العقل بالدليل القاطع ، هو التنفيذ العملى فى الاسلام لمبدأ استحالة التناقض بين الحقائق ولمبدأ وجوب الأخذ بالحق كيفما ظهر وأينما كان . فالحق فى العلم وفى الاسلام أحق أن يتبع لذاته لا لغيره ، وفى سبيل الحق يجب أن يجاهد الناس ، وعلى الوصول اليه يجب أن يتعاونوا ، وبه إذا وصلوا اليه يجب أن يستمسكوا . هذا هو أخص خصائص الروح العلمية فى ميدانها ، وهو فى الوقت نفسه أخص خصائص المؤمن حتى فى المعاملة . فان الصفات التى ضمن الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلم بها الجنة إذا هو ضمنها من نفسه فى الحديث الكريم : « اكفلوا لى بست أكفل لكم بالجنة ؛ إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا ائتمن فلا يخن ، وإذا وعد فلا يخلف : غضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم » هذه الصفات ليست فى صميمها إلا أخذاً بالحق فى أعم صوره ، واحتراماً له ووقوفاً عنده

لكن فخر العلم الحديث ليس هو جعله العقل أصل الأصول فى النظر ، ولكن هو ضبطه طريق النظر العقلى ، حتى صار العقل به فى مأمن من الضلال . إن قدماء العلماء والفلاسفة كانوا أيضاً يكبرون العقل ويتحاكمون اليه ، وهذا المنطق القياسى الذى يعين الطريق الذى يجب أن يسلكه العقل فى الاستنتاج ليكون بمأمن من الخطأ ، هو من وضع أولئك القدماء . فليس للعلم الحديث على العلم القديم فى هذا فضل ، بل الفضل فى توضيح طريق الاصابة فى الاستنتاج ، هو للعلم القديم أو للفلسفة القديمة كما تشاء أن تقول . لكن الذى غفل عنه القدماء ، وانتبه اليه المحدثون ، هو وجوب الاستيثاق من صحة المقدمات قبل القول

بصحة النتائج ، ولو صحت طريقة الاستنتاج . كان القدماء يعنون كل العناية بالاحتياط من الخطأ فى الاستنتاج ، ولو أنهم عنوا بصحة المقدمات عشر معشار تلك العناية لتغير تاريخ العلم ، ولتغير تاريخ العالم بالتبع ، ولما تأخر الرقى العلمى كل تلك القرون ، لكن أكثر القدماء كانوا فيما يظهر يتغالون فى الاعتماد على العقل وحده حتى جعلوه كل شيء ، وجعلوه مستغنياً عن كل شيء . فالعالم أو الفيلسوف كان يرى كافياً فى طلب الحقيقة أن يجلس ويفكر ، ثم يفكر ، كأن الحقائق كلها موجودة كامنة فى النفس أو الروح ، وكأن ليس على الانسان إلا أن يستثيرها بالتفكير . من أجل ذلك لم تعش الفلسفة القديمة أو العلم القديم إلا بصحة التفكير على الأخص ، وهى العناية التى أدت به إلى اكتشاف قوانين التفكير ووضع علم المنطق القياسى . أما المقدمات فكان العالم أو الفيلسوف يكتفى من الاستيثاق منها بالاقتناع النفسى والرجوع بها إلى ما يبدو له أنه بديهى لا يحتاج إلى برهان . ومن هنا دخل فى العلم القديم أو الفلسفة القديمة الشيء الكثير من الباطل ، أو على الأقل مما هو غير ثابت ؛ دخل فيها على أنه حق لا شك فيه ، فكان عبئاً ثقيلاً على العقل عاقه عن التقدم الحقيقى طوال تلك القرون

ولقد جعلت تلك الطريقة أمر تمييز الحق من الباطل فى العلم القديم من الوجهة العملية بيد المصادفة لا بيد العقل ، فكان الانسان إذا صادف الصحة فى مقدماته الأولى أو بديهياته التى يُرجع اليها مقدماته نجا من الخطأ بعد ذلك لاجتماع ركنى الاصابة لديه : صحة المقدمات وصحة التفكير . ومن هنا كانت علومه الرياضية أصح تراث منه وصل الينا . أما إذا أخطأه التوفيق فى المقدمات فلا تسل عن العجائب والغرائب التى كان يؤدى به اليها قياسه الصحيح من مقدماته العليلة . أنظر اليه وهو يحكم على شكل العالم أنه كرى لأن شكل الكرة أكمل الأشكال ، أو يحكم على العالم أنه حى عاقل لأن ما هو حى وعاقل خير مما ليس بحى ولا عاقل . وتأمل ما جر اليه القول بحياة العالم وعقله من القول بأفلاك ذات نفوس وعقول كل فلك منها نشأت نفسه وعقله عن نفس الفلك الذى فوقه وعقله ، وأشباه هذا مما يعجب له العلم اليوم كيف أمكن أن يتورط فيه العلم بالأمس ، إذ العلم والفلسفة كانا شيئاً واحداً فى العصر القديم

هذا النوع من التفكير الوهمى قد سد العلم الحديث بابه ، وقطع أسبابه بايجابه أولا عدم قبول شيء على أنه حق حتى يقوم عليه البرهان القاطع ، وبرجوعه ثانيا الى التجربة والمشاهدة فى تمحيص المقدمات . هذان هما المبدآن اللذان قامت عليهما الطريقة العلمية الحديثة ، واللذان يرجع الى التزامهما والتشدد فى تطبيقهما كل ما وصل اليه الانسان من تقدم فى ميادين العلم الحديث

فأما المبدأ الأول مبدأ اشتراط قيام الدليل القاطع على صحة القضية قبل ادخالها فى دائرة الحق فهو مبدأ سلبى ، ولكنه فى غاية الخطورة لأنه حال دون الخلط بين الحق والباطل ، وميز دائرة الشك من دائرة اليقين ، وجعل العلم على بينة من أمره فصار يعرف تماما أين هو من الحق ومن الباطل : صار يعرف أى القضايا هو فوق الشك وأيها فى حاجة الى التمحيص

لكن هذه المعرفة لم تكن لتغنى عنه كثيرا لو لم يجد العلم وسيلة صادقة لتمحيص ما هو منه فى شك ، فيزيد باطراد فى دائرة الحق المعلوم ، ويُنقص باطراد من دائرة المجهول . لكنه وجد هذه الوسيلة فى مبدئه الثانى مبدأ التجربة والمشاهدة . وهو كما ترى مبدأ إيجابى يقوم بجوار مبدئه السلبى الأول : يحرس الأول منطقة الحق أن يدخلها باطل ، ويوسع الثانى حدود المنطقة باستمرار . ولقد اقتضى هذا أن يقصر العلم نفسه من ميادين البحث على ما يمكن الاحتكام فيه الى التجربة والمشاهدة ، أو كما عبر بعض العلماء فأحسن التعبير على الميادين التى يستطيع أن يسأل فيها الانسان الفطرة فتجيب . والفطرة على حد تعبير عالم آخر دائماً تجيب إذا أحسن الانسان سؤالها . وأكبر الفرق من الناحية العملية بين العلم القديم والعلم الحديث أن هذا عرف كيف يحسن استجواب الفطرة ، وأن ذاك فى الأوقات القليلة التى خطر له أن يسترشد بالفطرة لم يعرف كيف يحسن سؤالها باجراء التجارب المنظمة ، وإن عرف أحياناً كيف يسمع لها بمشاهدة بعض ما يجرى حوله . وبالجملة فان أكبر ما يميز العلم فى عصره الحديث عن مثله فى العصر القديم هو اجماع أهله على

اتباع ذينك الأصلين : أصل التفرقة التامة بين اليقيني وغير اليقيني ، وأصل تمحيص غير اليقيني بعرضه على التجربة والاختبار

هذان الأصلان اللذان هما قوام الطريقة العلمية ، واللذان اليهما يرجع كل ما أدرك العلم فى ميدانه من تقدم ، ما شأنهما فى الاسلام كما يتجلى فى القرآن ؟

إن الذى أنزل القرآن روحاً من أمره وهدى يهدى به الانسانية سبل الحياة شاءت رحمته بعد أن جعل العقل أصل الأصول فى النظر ألا يكل الانسان إلى عقله من غير أن يبين له معالم الطريق ويحذره مهاوى الخطأ والضلال . فهو أولاً يوجب على الانسان فى القرآن ألا يُدخل فى الحق إلا ما قام عليه البرهان والدليل أنه من الحق (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) . (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) وفى هذه الآية الكريمة ترى كيف ينبه الله الانسان إلى أن الظن والتخمين ليسا من العلم والبرهان فى شىء ، وهو معنى لقى توكيداً عظيما فى القرآن بوروده صريحاً فى أكثر من آية . (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ، وما لهم به من علم ، إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً) . (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً . إن الله عليم بما يفعلون) ، وهذا بالضبط هو ما اهتدى اليه العلم الحديث وشدد من أجله فى وجوب التفرقة بين الثابت الذى لا شك فيه ، وغير الثابت الذى هو فى حاجة إلى التمحيص ، ومن هنا ترى أن التطابق تام فى هذه الناحية أيضاً بين العلم وبين الاسلام

على أن هذا ليس هو كل ما وضح به القرآن سبيل الحق أمام الانسان ، فانه كما حذره من الخلط بين الحق والباطل ، ومن إنزال الظن والتخمين منزلة البرهان واليقين ، دله على الطريق العملى الذى يتبين به وجه الحق فيما هو منه فى شك : طريق استعمال العقل لا السمع والبصر . ومن العجيب أنك لا تكاد تجد فى القرآن ذكراً للسمع والبصر إلا والعقل مقرون بهما مذكور معهما كأنما يريد الله أن ينبه الانسان إلى ما بينهما وبين العقل من ترابط ، فالعقل لا يتم إلا بأثرهما وهما لا ينفعان نفعهما إلا إذا كان العقل من ورائهما يوجههما وينظم عملهما ، أو كأنما يريد الله سبحانه أن ينبه الانسان إلى أن ما يكسب من علم أو معرفة راجع فى صميمه إلى هذه الثلاثة ، وأن عليه إذن أن يحسن استعمالها ويحذر إهمالها . على أن الانسان لم يترك فى هذا إلى مجرد الاستنتاج . فقد أنبأه الله صراحة فى القرآن فى معرض المن عليه أن علم الانسان مصدره السمع والبصر والعقل كما ترى فى آية النحل : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) ، وأوجب عليه فى آيات كثيرة أن يحسن استعمال سمعه وبصره وعقله ، نذكر منها آية واحدة هى فصل الخطاب فى هذا الباب ألا وهى قوله تعالى من سورة الأعراف : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) فانه ليس هناك أكثر حضاً على إحسان استعمال العقل وأدواته من هذه الآية الكريمة التى لم تكتف بتسوية الانسان بالبهيمة أو جعله شراً منها إذا هو أهمل عقله وسمعه وبصره ، بل أنذرته أبلغ إنذار أنه إن فعل ذلك فقد هلك إلى الأبد وحشر نفسه فى زمرة أهل النار

فهذا أصل التجربة والمشاهدة قد لقى فى صميمه من التوكيد فى الاسلام ما يصغر بجانبه ما لقى من التوكيد فى العلم وإن كان هو قوام العلم الحديث . والسر فى هذا أن العلم لا يزال فى الدور الذى يدرس فيه الفطرة ابتغاء الوقوف على أسرارها فحسب ، أما الدين فيأمر باستكناه أسرار الفطرة ليزداد الانسان بها هدى إلى رب الفطرة الذى فطرها وفطره ، والانسان إن لم يهتد إلى ربه فانه لا محالة من الهالكين . ومهما يكن من اختلاف الغاية بين الدين والعلم فان كل غاية العلم هى بعض غاية الدين ، والطريق الذى يسلكه العلم إلى غايته هو جزء من الطريق الذى يأمر بسلوكه الاسلام

على أننا نحب أن نزيد هذا التطابق بين الطريقين توكيداً بالتنبيه إلى آية واحدة فى القرآن جمعت للانسان أصول النظر العلمى وأثبتتها من الدين مجتمعة بعد أن أثبتتها من الدين متفرقة ، تلك هى قوله تعالى من سورة الأسراء : (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) فانها

من ناحيـة تأمر الانسان بالوقوف عند حد ما يعلم (ولا تقف ما ليس لك به علم) ومن ناحيـة أخرى تدله على طريق استبانة الحق فيما لا يعلم ، والاستمساك بما يتبين له من الحق عن ذلك الطريق ، طريق إحسان استعمال السمع والبصر والعقل (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) وفى قوله سبحانه (كل أولئك كان عنـه مسئولاً) فى موقعها من الآية تقرير مسئولية الانسان عند ربه عن حواسه وعقله كيف لم يستعملهن عند الشك حتى يتبين وجه اليقين ، وكيف حين استعملهن لم يحسن استعمالهن ، أم كيف وقد أحسن استعمالهن لم يستمسك بما وصل اليه من الحق عن طريقهن حتى صار هو ومن أهملهن سواء . ولو حاول العلم أن يزيد فى توكيد أصوله على هـذا ما استطاع ، ثم هو ليس يبالغ شأو الدين فى هذا التوكيد لأنه لا يملك لمهمل أصوله حساباً ولا عقاباً

***

وبعد ، فلعلنا نكون قد وفينا هذا الموضوع الخطير بعض حقه من البحث ، وبلغنا الغرض الذى بدأنا هـذا البحث من أجله، وأثبتنا أن العلم الحديث بينه وبين الاسلام كل ما بين الجزء والكل من تطابق ما دام قد ثبت أنه قرآنى الموضوع والاسم والروح والطريقة ؛ فهو بجملته وتفصيله قطعة من الاسلام ، حتى فروضه العلمية ونظرياته التى يتلمس بها سنن الفطرة لها فى الاسلام متسع ، لأنها ليست الا ضربا من الاجتهاد الذى يثيب الله عليه المجتهد ، أخطأ أم أصاب . وهـذا التطابق العجيب بين العلم والاسلام هو الذى كان متوقعاً ما دام الاسلام هو دين الفطرة ، وما دام العلم قد أصاب الفطرة وإن فى بعض نواحيها . وليس يمنع العلم أن يصيب الفطرة فى بعضها الآخر المتعلق بحياة الانسان الاجتماعية . الا أن هذه الحياة خارج نطاقه ، وستظل كذلك لامتناع إخضاع الفرد بله الجماعة للتجربة العلمية والاختبار . فليس هناك للانسانية إذن أى أمل فى أن تصيب سنن الفطرة فى الاجتماع عن طريق العلم ، فهى لن تزال فى مدنيتها بعيدة عن سنن الفطرة وعن سبل السلام حتى تقيم وجهها للدين حنيفاً (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله)

محمد أحمد الغمراوى

أعلام الاسلام

محمد بن شهاب الزهرى

بقلم السيد ناجى الطنطاوى

محمد بن شهاب الزهرى ، علم من أعلام التابعين ، وامام جليل من أئمة المسلمين ، روى الحديث عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبناء أصحابه . وكان نادرة فى الذكاء وقوة الحافظة والصبر على طلب العلم ، ثقة ، أميناً فى الاسناد شهد له الخلفاء والعلماء بالتفوق والفضل حتى قال ابن تيمية : حفظ الزهرى الاسلام نحواً من سبعين سنة ، وكان مع ذلك سخياً كريماً يبذل ماله فى سبيل العلم

اسمه ونسبه ومولده

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله ابن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مرة[1] ، أبو بكر القرشى الزهرى . سمى بالزهرى نسبة الى زهرة بن كلاب ، كان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرا ، وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أُحُد لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلنّـه أو ليقتلنّ دونه . وقد سئل الزهرى مرة : هل شهد جدك بدرا ؟ قال نعم ، ولـكن من ذلك الجانب ! أى من جانب قريش

وانتسب الزهرى مرة أمام هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : ان كان أبوك لنفّـارا فى الفتن ، فقال : يا أمير المؤمنين عفا الله عما سلف

وقال : نشأت وأنا غلام ، ولا مال لى ، منقطع الديوان ، فـكنت أتعلم نسب قومى من عبد الله بن ثعلبة ، وكان عالماً بنسبهم وهو ابن أختهم وحليفهم

وقال ابن جيويل : لم يكن له كتاب الا كتاب فيه نسب قومه ، أما سنه وولادته فلم تعلم على وجه الصحة لاختلاف

(١) مرة أبو قبيلة كبيرة من قريش ، منها آمنة بنت وهب والدة رسول الله صلى الله عليه وسلم

المؤرخين فيها فهى إما سنة ٥٠ أو سنة ٥١ أو سنة ٥٢ ، وقيل بل سنة ٥٨

صفته :

قال سفيان[١] : رأيت الزهرى أحمر الرأس واللحية ، وفى حمرتها انكفاء[٢] قليل ، كأنه يجعل فيها كتما[٣] ، وكان أعيمشاً[٤] وعليه جميحة[٥] وكان رجلا قصيرا ، قليل اللحية ، له شعرات طوال ، خفيف العارضين

طلبه العلم

دخل مرة على عبد الملك بن مروان ، فذاكره عبد الملك ، فرأى فيه نباهة فوصله ، وأمر له بشراء دار قطيعة بالمدينة ، وبرزق يجرى عليه ، وأعطاه خادماً وقال له : اذهب فاطلب العلم ، فانى أرى لك عينا حافظة ، وقلبا ذكياً ، وائت الأنصار فى منازلهم . قال : فأتيت المدينة ، فاذا عند الأنصار علم جم ، فأخذته عنهم

وقال ابراهيم[٦] بن سعد : ما سبقنا الزهرى بشىء من العلم إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد ، وكنا تمنعنا الحداثة

وقال أبو الزناد : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج اليه علمت أنه أعلم الناس بعد أن كنا نطوف نحن وإياه معنا الألواح والصحف ونحن نضحك به ، وكان يكتب الحديث فيحفظه ثم يمحوه

وقال صالح بن كيسان : كنت أطلب العلم أنا والزهرى فقال : تعال نكتب السنن فكتبناها ماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : تعال نكتب ما جاء عن الصحابة فكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت

قوة حافظته

كان يقول : ما استودعت قلبى شيئاً قط فنسيته ، وكان يكره أكل التفاح وسؤر الفأر ويقول إنه ينسى ، وكان يشرب العسل ويقول إنه يذكر . وقال : كتب عبد الملك الى أهل المدينة كتاباً فى طومارين يعاتبهم به ، فقرىء على الناس عند المنبر ، ولم يكن سعيد بن المسيب حاضرا ، فلما انفض الجمع قال سعيد لجلسائه : ما كان فى ذلك الكتاب ؟ ليت أنا وجدنا من يعرف لنا ما فيه ، فلم يتكلم أحد . فقلت له : أتحب أن تسمع كل ما فيه ؟ قال نعم قال : فقرأته له من أوله الى آخره لم أنس منه كلمة

وقال : ما استفهمت عالماً قط ، ولا رددت شيئاً على عالم قط يعنى أنه كان يحفظ ويفهم من أول مرة

وقال الامام مالك : حدثنى الزهرى بحديث طويل فلم أحفظه فسألته عنه مرة ثانية فقال لى : أليس قد حدثنا كم به ؟ فقلت : بلى ، فأردت أن أستخرجه . فقلت له : أما كنت تكتب ما تسمع ؟ فقال : لا . فقلت : أما كنت تستعيد ؟ فقال : لا

وقال مالك حدثنا الزهرى بمائة حديث ، ثم التفت إلىّ وقال : كم حفظت يا مالك ؟ فقلت : أربعين حديثا ، فوضع يده على جبهته ثم قال : إنا لله ، كيف نقص الحفظ ؟

وقال سعيد بن عبد العزيز : سأل هشام بن عبد الملك الزهرى أن يملى على بعض ولده ، فدعا بكاتب فأملى عليه أربعمائة حديث ثم إن هشاماً قال له : ان ذلك الكتاب قد ضاع ، فدعا الكاتب فأملاها عليه ، ثم قابله هشام بالكتاب الأول فما غادر حرفاً

منزلته عند الخلفاء

كان عمر بن عبد العزيز يقول : عليكم بابن شهاب ، فانكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه . قال معمر وإن الحسن وضرباءه لأحياء يومئذ . وقال عمر بن عبد العزيز أيضاً : ما ساق الحديث مثل الزهرى ، وما أتاك به الزهرىّ بسنده فاشدد يدك عليه

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى الكوفى . محدث الحرم كان حافظاً ثقة ، واسع العلم كبير القدر . قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وكان أعور وحج سبعين سنة . ولد بالكوفة وتوفى بمكة سنة ١٩٨

(٢) الانكفاء : تغير اللون

(٣) الكتم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر

(٤) العمش : ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها فى أكثر أوقاتها

(٥) تصغير جمة وهى ما سقط على المنكبين من شعر الرأس

(٦) هو ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، أبو اسحاق الزهرى ، من أهل المدينة ، نزل بغداد وأقام بها إلى حين وفاته ، وأكرمه الرشيد وأظهر بره . كان محدثاً ثقة ، وكان من أكثر أهل المدينة حديثاً فى زمانه ، وكان أبوه على قضاء المدينة من جلة المسلمين ، توفى سنة ١٨٣

وقد تقدم قول عبد الملك بن مروان له : إني أرى لك عيناً حافظة وقلباً ذكياً

وقال : لما توفى عبد الملك لزمت الوليد [1] ، ثم لزمت هشاماً بعده وحججت معه سنة ١٠٦ فكنت مع ولده أعلمهم وأفقههم وأحدثهم ولم أفارقهم حتى مات هشام بالمدينة

منزلته عند العلماء

قالوا : كان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيهاً جامعاً وقال الليث عن جعفر بن ربيعة : قلت لعراك بن مالك من أفقه أهل المدينة ، فذكر سعيد بن المسيب ، وعروة [2] وعبد الله بن عبد الله ، قال عراك : وأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب لأنه جمع علمهم إلى علمه

وقال مكحول [3] : ما بقي على ظهرها أعلم بسنة باقية من الزهري وقال أيوب [4] : ما رأيت أحداً أعلم من الزهري . فقال له صخر بن جويريه : ولا الحسن ؟ قال : ما رأيت أعلم من الزهري وقال عمرو بن دينار : مثل هذا القرشي ما رأيت قط ، وقال سعيد ابن عبد الرحمن بن جنبل : لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن ، وقال سفيان بن عيينة : جالست الحسن وغيره ، فما رأيت مثل الزهري وقال الامام مالك : بقي ابن شهاب ، وماله في الناس نظير ، وكان إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد حتى يخرج منها . وقد اتفق الأئمة على أن الزهري مات يوم مات وهو أعلم الناس بالسنة ، واتفقوا على أنه كان أفقه من الحكم وحماد وقتاده وقال السمعاني [1] : كان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار ، وكان فقيهاً فاضلاً

قال ابن عينية : ما رأيت أنص للحديث من الزهري

سعة علمه

قال علي بن المديني : له نحو ألفي حديث . وقال أبو داود [2] : جميع حديث الزهري ألفا حديث ومائتا حديث نصفها مسند

وقال مالك : لقد أدركنا في مسجد المدينة سبعين ممن يروى الحديث وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أميناً ، فما أخذت منهم شيئاً ، لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، وقدم علينا الزهري وهو شاب فازدحمنا على بابه

وقدم أحمد [3] بن صالح العراق من مصر ليرى أحمد ابن حنبل [4] ، فاستأذن اليه فأذن له ، وقام اليه ورحب به وقربه وقال له : بلغني أنك جمعت حديث الزهري ، فتعال حتى نذكر ما روى الزهري عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا يتذاكران ولا يغرب أحدهما على الآخر حتى فرغا ، قال الراوي : وما رأيت أحسن من مذاكرتهما . ثم قال أحمد بن حنبل لأحمد ابن صالح : تعال حتى نذكر ما روى الزهري عن أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا يتذاكران ولا يغرب أحدهما على الآخر ، الى أن قال أحمد بن حنبل : عن الزهري عن محمد بن جبير ابن مطعم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما يسرني أن لي حمر النعم ، وأنى خلف المطيبين . فقال أحمد بن صالح سألتك بالله إلا أمليته علي . وقال : لو لم أستفد

(١) ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن الزهري كان يقدح أبداً عند هشام في الوليد ويعيبه ، ويقول ما يحل لك إلا خلعه فما يستطيع هشام ، وأنه لو بقي الزهري إلى أن يملك الوليد لفتك به

(٢) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالماً بالدين ، صالحاً كريماً ، لم يدخل في شيء من الفتن ، وقدم مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين ، وعاد إلى المدينة فتوفى فيها ، وبئر «عروة» بالمدينة منسوبة اليه ، توفى سنة ٩٣

(٣) هو مكحول بن شهراب (وقيل ابن عبد الله) بن شاذل ، فقيه الشام في عصره ، من حفاظ الحديث ، كان مولى لامرأة من هذيل ، وأعتق فسكن دمشق ، وتوفى بها سنة ١٢٢ ، قال عنه الزهري : لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا

(٤) هو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري ، سيد فقهاء عصره ، تابعي ، من حفاظ الحديث ، كان ثبتاً ثقة ، توفى سنة ١٣١

(١) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي أبو المظفر ، مفسر من العلماء بالحديث ، من أهل مرو توفى سنة ٤٨٩

(٢) هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدي السجستاني إمام أهل الحديث في زمانه ، أصله من سجستان ، ورحل رحلة كبيرة ، وتوفى بالبصرة سنة ٢٧٥

(٣) هو أحمد بن صالح ، أبو جعفر المصري ، كان حافظاً للأثر ، عالماً بعلل الحديث ، ثقة ؛ ورد بغداد ثم رجع إلى مصر وأقام بها حتى توفى سنة ٢٤٨

(٤) هو أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل ، إمام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الأربعة ؛ ولد في بغداد ونشأ مكباً على طلب العلم ، وسافر في سبيله أسفاراً كثيرة ، وسجنه المعتصم ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن ثم أطلقه ، ولم يصبه شر في زمن الواثق ، ولما تولى المتوكل أكرمه وقدمه ومكث مدة لا يولى أحداً إلا بمشورته ، توفى في زمن المتوكل سنة ٢٤١

بالعراق إلا هذا الحديث كان كثيراً

وقال الليث بن سعد : ما رأيت عالماً قط أجمع للعلم من ابن شهاب . لو سمعته يحدث فى الترغيب ، لقلت ما يحسن إلا هذا ؛ وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتب ، لقلت ذلك ؛ وإن حدث عن الأعراب والأنساب لقلت ما يحسن إلا هذا . قال ابن إسحاق [1] : سألت الزهرى عن شىء ، فقال ما بقى أحد فيما بين المشرق والمغرب أعلم بهذا منى

وكان يقول : مكثت خمسا وأربعين سنة أنقل أحاديث أهل الشام إلى الحجاز ، وأحاديث أهل الحجاز إلى الشام ، فما أجد أحدا يطرفنى بحديث لم أسمعه

سخاؤه

قال الليث : وكان من أسخى الناس ، كان يعطى كل من جاءه وسأله ، حتى كان يقترض من عبيده ولا يرى بذلك بأساً ، فقيض الله له على قدر صبره واحتماله : إما رجلاً يهدى له ما يسع السائلين ، وإما رجلاً يبيعه بنظرة ، وكان يطعم الناس الثريد فى الخصب وغيره ويسقيهم العسل ، وكان يسمر مع أصحابه على العسل

ونزل بماء من المياه مرة ، فقال له أهل الماء : إن لنا ثمانى عشرة امرأة مسنة ليس لهن خادم ، فاستسلف ثمانية عشر ألفاً فأخدم كل واحدة منهن خادماً بألف ، وقضى عنه هشام سبعة آلاف دينار وقال له لا تعد لمثلها تدان ، فقال الزهرى يا أمير المؤمنين حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين

وأخدم الزهرى فى ليلة واحدة خمس عشرة امرأة من بنى زهرة خمس عشرة وليدة ، اشترى كل وليدة بثلاثين ديناراً

وقيل له إن الناس لا يعيبون عليك إلا كثرة الدين ، فقال : وكم دينى ؟ إنما دينى عشرون ألف دينار ، وليس يرثنى إلا ابن أخى هذا ، وما أبالى ألا يرث عنى شيئاً

وكان يقول : وجدنا السخاء لا تنفعه التجارب

وقال الامام مالك : كان الزهرى من أسخى الناس ، فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيت ما مر عليك من الضيق والشدة ، فانظر كيف تكون وأمسك عليك مالك . فقال له : ويحك ، إنى لم أر الكريم تحنكه التجارب

فقال الحسين بن عبد الله الكاتب فى هذا المعنى :

له سحائب جود فى أنامله ... أمطارها الفضة البيضاء والذهب

يقول فى العسر إن أيسرت ثانية ... أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب

حتى إذا غاد أيام اليسار له ... رأيت أمواله فى الناس تنتهب

ومر به رجل من التجار وهو فى قريته ، والرجل يريد الحج ، فابتاع منه بزاً بأربعمائة دينار الى أن يرجع من حجه ، فلم يبرح عنه الرجل حتى فرقه . . . فعرف الزهرى فى وجه الرجل ما كره . فلما رجع من حجه قضاه ذلك وأمر له بثلاثين ديناراً ينفقها فى سفره . فقال له الزهرى كأنى رأيتك يومئذ ساء ظنك فقال : أجل . فقال : والله لم أفعل ذلك إلا للتجارة : أعطى القليل فأعطى الكثير !

وكان يخرج الى الأعراب يفقههم ويعطيهم فجاءه رجل وقد نفد ما فى يده ، فمد الزهرى يده إلى عمامة عقيل فنزعها وأعطاها الرجل ، وقال لعقيل : أعطيك خيراً منها .

وقال له زياد بن أسعد : إن حديثك ليعجبنى ، ولكن ليست معى نفقة فأتبعك . فقال له : اتبعنى أحدثك وأنفق عليك !

وفاته

كان له ضيعة فى شَغْب : وهى أول عمل فى فلسطين ، وآخر عمل الحجاز ، توفى فيها فى رمضان سنة ١٢٤ على أصح الروايات ودفن فى نشز من الأرض ، وقبره قائم على الطريق ليدعو له كل من مر عليه . قال الأوزاعى : رأيت قبره هناك مسنماً مجصصاً مبيضاً فقلت : يا قبر كم فيك من حلم وعلم ؟

(١) هو محمد بن اسحاق بن يسار المطلبى المدنى ، أبو بكر ، من أهل المدينة ، زار الاسكندرية وسكن بغداد فمات فيها سنة ١٥١ قال ابن حبان لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن اسحاق فى علمه أو يوازيه فى جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقاً للاخبار

رسـالة الأزهر
فى القرن العشرين
للأستاذ المسيحى لبيب الرياشى

مؤلف كتاب « نفسية الرسول العربى »

رسالة الأزهر فى هذا القرن ، القرن العشرين المسيحى ! .. أم القرن الرابع عشر المحمدى ؟ — هى تصير رسالة الرسول العربى العالمى المقدسة فى القرن الأول المحمدى منذ ألف عام وثلثمائة عام وستين عاما وثمانية أعوام « ١٣٦٨ »

أجل هى تصير رسالته مذ تحنث وتعبد فتجرد الى أن غطه الوحى فعلم ، الى أن حمى التنزيل وتتابع — فجاهد وعلم وأنذر وبشر — فبلغ بشر بالحكمة والموعظة الحسنة الناس جميعاً « قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعاً »

أنذر وبشر وعلم — بفؤاد وادع وقلب سليم وسريرة طاهرة — فبلغ : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » الى أن أكمل جهوده وأتم رسالته واستودعها الفرقان الحكيم . وجعل قيمين على تنفيذها سرائر صحابته وتضحية المؤمنين بنبوته ليعملوا بما أوحى اليه وأنزل عليه ويجاهدوا وينيروا

يجاهدوا وينيروا — البشر جميعاً بدين الفطرة ، والأخاء ، والشورى ، والمساواة ، والعدل ، والعلم ، والحكمة ، والحجة ، والضمير ، والحرية ، والجرأة ، والصراحة ، والاستقلال ، وقرة أعين فى الدنيا « ورضوان من الله أكبر » فى الآخرة

إذن على أسس هـذا الواجب العادل ، وهذا التمثل الحق ، يرفع هيكل مجيد لرسالة الأزهر فى القرن الرابع عشر المحمدى أو القرن العشرين كما أسمته وزارة المعارف المصرية الجليلة

إذن يرفع هيكل رسالة الأزهر فى هذا القرن كما رفع هيكل الانسانية الالـهى فى القرن الأول المحمدى — فيقابل الدور الأول دور التحنث والتعبد والتجرد والعلم ، بتحنث وتعبد ودراسة من ينتخبهم الأزهر أم يتجندون للعلم فى الأزهر على أن ينتخب الأزهر طلابا من أولى الشعور الخصب وأولى العزم والذكاء العميق ، والتحسس الضميرى ، عشاق التضحية وعشاق الحق ويثقفهم ثقافة كاملة شاملة

ينتخب الأزهر طلابه من الشبان ممن اكتملت صفاتهم تلك ليتعلموا مع علم الدين وشرعة الرسول وسنته وسيرته واللغة العربية اللغات الحية العالمية ، ويدرسوا الأديان العالمية وتاريخها وفلسفتها وأساطيرها

كل فريق يتخصص للغة حية ، ويتخصص لفرع من فروع العلوم ليعلموا عن كل علم جوهره الحق فيكون علمهم علما حقا « وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا »

قلت ينتخب الأزهر طلابه من الذكور والأناث فلا يحتكر العلم والتبشير الذكور عملاً بالآية الكريمة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . . . » ولأن واجبهم فى التبشير العالمى واجب الذكور والأناث على سواء

وقلت ينتخب الأزهر طـلابه من ذوى الشعور الخصب والذكاء العميق والتحسس الضميرى وعشاق التضحية والحق لكى لا يقوّلوا الله ما لم يقل فى كتابتهم سيرة الرسول ، ويعمّلوا الرسول ما لم يعمل فى تبيان حياته ، ويضعوا فى فمه ألفاظا تطهر منها فمه

فيقولون مثلاً « غزوة » لكل واقعة انتصافية ، أو تهذيبية ، أو تبشيرية

إن الغزوة كتبت بعقلية من كتب بعد مائتى سنة من وفاة الرسول مع ما فى الغزو من ظاهرة السلب وحب القتال غير المعقول وغير الحق

إن المفهوم والمعقول من الآيات المنزلة عند ما أذن للرسول بالقتال كانت للانتصاف والتهذيب والتبشير لا للغزو (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)

(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـدوا إن الله لا يحب المعتدين) فهل يحب الغزاة الناهبين ؟

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً)

(الذين إن مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور)

(وقاتلوا حتى لا تكون فتنة)

تلك هي الآيات الحكيمة المنصفة التي نزلت على الرسول ، فمن أين جاء كتاب السيرة ومن تابعهم بالغزو ... وبالغزوات

ولكي لا يقول الرسول هكذا : تذهب الكثرة من المؤرخين إلى أنهم ـ أي الصحابة ـ فكروا وفكر محمد (ص) على رأيهم في الانتقام من قريش لأنفسهم ومبادأتهم بالعداوة والحرب

ولكي لا يقولوه الطعن والشتم والسباب ، بقولهم : طعن آلهة قريش ، شتمها ، سبها ، ولكي ، ولكي

إن الرسول لم يكن منتقما ، وقد حذر الانتقام ، ولم يكن سبابا ، والحديث الصحيح والقرآن الحكيم ينفيان عنه حب الانتقام والشتم والسباب ؛ فمن أي مصدر قرآني ، أو حديث صحيح وضعوا في صدر الرسول الانتقام وفي فمه السباب ؟ ؟ ...

إن الرسول فكر في الانتصاف من أعداء الله وأعدائه . فكر في حرية التبشير ، فكر في تعليمهم الحق ، وعلم بما فكر . فلما لم يذعنوا بالحسنى بعد ثلاثة عشر عاما أذن له في القتال الانتصافي ، ولم يسب آلهة قريش ، بل عابها . لم يسبها لأن حديثه مشهور : لا تكن سبابا

« ليس المسلم بالسباب ولا بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء »

« إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً »

للأسباب المتقدمة التي صهرناها صهراً ننادي الأزهر بيت العلم المحمدي الأول ، ونقول : إن واجب رسالته الواجب . الواجب كتابة سيرة للرسول تتفق والقرآن الحكيم ؛ وعقلية الرسول البريئة وأعماله الحقة . وقلنا على طلاب الأزهر أن يثقفوا ثقافة جامعة شاملة ، لكي لا يرموا قلب الحق بما رماه به كاتب مشهور تعلم في الأزهر ، واتصل بالشيخ محمد عبده اتصالاً وثيقاً ، وكان من المؤمنين برسالة الرسول ونبوة الرسول !

لكي لا يرموا قلب الحق وإن تعريباً وإن نقلا بقولهم في تأبين من اشتهر بالبخل وحب المال اشتهاره بالذكاء والدهاء

لكي لا يرموا قلب الحق بقولهم

« في مثل هذا اليوم منذ مائة سنة مات الرجل العظيم . مات الرجل الخالد . مات ڤولتر . ما مات ڤولتر حتى احدودب ظهره تحت أثقال السنين الطوال وأثقال جلائل الأعمال وأثقال الأمانة العظيمة التي عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فحملها وحده ، ألا وهي تهذيب السريرة الانسانية فهذبها فاستنارت فاستقام أمرها . . »

وڤولتر هذا الذي هذب السريرة الانسانية فاستقام أمرها ، ڤولتر هذا الذي عظمه مسلم مؤمن وسكب عظمته في صدر كل عربي مسلم . ڤولتر هذا هو كاتب القصة التمثيلية بعنوان « محمد » ولقد أهداها إلى البابا بنوا الرابع عشر بهذه العبارات « فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس اعجاباً بالفضيلة إذا تجرأ فقدم الى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية . والى مَنْ غير وكيل رب السلام ، والحقيقة أستطيع أن توجه بنقدي فسق نبي كاذب وأغلاطه ؟ فلتأذن لي قداستك في أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة وإني مع الاجلال العميق أجثو وأقبل قدميك القديستين

في ١٧ أغسطس سنة ١٧٤٥ « ڤولتر »

ترى لو كان المعرب الذي استعار بلاغة القرآن تثقف الثقافة الحقة الجامعة الشاملة وفهم نفسية من كتب عنه وأعماله وأقواله

ترى لو كان متقفاً ثقافة صحيحة أ كان يقول عن ڤولتر قوله سواء أ كان يقول إن ڤولتر هذب السريرة البشرية فاستنارت فاستقام أمرها ، وإن أمانة هذا التهذيب عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فحملها وحده ؟ ويكون تهذيبه للبشر بهذا الشكل الفاسق غفر الله لمن عرب ولمن ثقف هذه الثقافة

إذن لتكن رسالة الأزهر تعليم اللغات الحية ولتكن رسالته الثقافة الجامعة الشاملة ليطلع طلابه على أهم المسائل فيظهروا الحق حقاً والباطل باطلاً

لتكن رسالة الثقافة الشاملة ، فلا يصاب طلاب الحق بأمثال من ذكرت ، وبأمثال عالم كتب حياة محمد (ص) وعند ما شاء أن يصور كيف خشيت قريش البعث ورعبت من جهنم قال : « أما الجنة التي أعدت للمتقين ، وجهنم التي أعدت للظالمين . أما ذلك كله فلم يكن يدور بخاطرها ، وذلك كله قد سمعوا به في دين اليهود ، وفي دين النصارى » . وقال في صفحة ثانية : « والموسوية والعيسوية تصفان حياة الخلد ورضا الله »

لا أعلم أين قرأ المؤلف وصف الخلد، ووصف الجنة وجهنم في الدين الموسوى !

لا جنة ولا جهنم أيها المؤلف الفاضل في الدين الموسوى ولم يرد وصفهما لموسى . إن التوراة اكتفت بقولها : (إن الله له منتقم يفتقد ذنوب الآباء في البنين الى الجيل الرابع ، ومن ثمة يفتقد خطايا الخاطىء وذنوبه بجسمه ونسله وأنعامه ومواشيه فحسب)

مثل هذا القصور في الثقافة لا يليق بمن يكتب حياة أعظم من سار على قدمين من بنى البشر — حياة الرسول — لذا ترى أن أول واجبات رسالة الأزهر توسيع دائرة المعارف وتثقيف الطلاب ثقافة جامعة شاملة قبل أن يكتبوا عن الرسول وقبل أن يحللوا الحكمة السامية التي تجسدت في شخص محمد ، والأدب الرفيع الذي جلل أقواله وأعماله

جهلت قومه عليه فاغضى وأخو الحلم دأبه الأغضاء

وقلنا بالتخصص ليخرج من طلابه نوابغ في أى فرع من فروع العلوم ، فاذا تخصصوا ونبغوا حق لهم أن يفسروا القرآن الحكيم لأنهم يومئذ ، ويومئذ فقط ، يفهمون الآيات الطبية والتشريعية العالمية الدولية والنفسية البشرية ، وعلوم الفلك والطبيعيات وو . . . . إن في القرآن مجموعة العلوم البشرية فأنى لغير مجمع كبير على اخصائى في أى العلوم يفهمه ويفسره ؟ فاذا تخصصت كل فئة لفرع أجادت فهم القرآن وأجادت تفسيره

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر »

هذه الأطوار الستة وردت في القرآن الحكيم منذ أربعة عشر قرناً أثبتتها الاكتشافات الحديثة أمس « واتخذها الفلاسفة الطبيعيون حجة على أطوار خلق الجنين توافق الأطوار التي نشأت فيها أصول الحيوانات في الأزمنة العريقة في القدم قبل خلق الانسان بادهار طويلة ، وذلك لأن الانسان يكون في الطور الأول من إنشائه نطفة أشبه بالحيوانات السافلة المسماة بذوات الجوف ، ثم يستحيل إلى علقة فيصير أشبه بالسمك ، ثم ينسلخ مضغة فيكون شبيهاً بالحيوانات المائية البرية ذوات العمرين ، وبعد ذلك يتحول إلى مشابهة أدنى مراتب الحيوانات اللبون وهو حينئذ في بدء الطور الذي ينمو فيه خلقاً سوياً متميزا بخصائصه النوعية »

أنى لغير الطبيب الحكيم أن يفهم عظمة القرآن وعلوم القرآن إذا مرت أمامه الآية الطبية تلك وأمثالها وأنى له أن يفسرها ؟

وأنى لغير المشترع أن يعلن بسرعة أن أعظم لجنة ألفتها جمعية الأمم في القرن العشرين مؤلفة من أكبر مشترعى العالم منذ أشهر معدودة لتحكم بين دولتين هما من أعضاء جامعة الأمم

لقد قالت اللجنة التشريعية : مادام أن مجلس الثلاثة عشر قال إن إيطاليا هي المعتدية على الحبشة ، ولما كان كلاهما عضواً في جامعة الأمم فعلى جامعة الأمم أن تناصر المعتدى عليها

ذلك كان حكمها . فلنسمع حكم القرآن في مثل هذا الموقف ولنعتبر ولنحترم

لنسمع للحكم السامى الرفيع الذي جاء به الفرقان منذ أربعة عشر قرناً ، الحكم الجامع الشامل ، الحكم الذي عجز عن الأتيان بمثله أعظم علماء الشرع في القرن العشرين :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله . فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين »

* * *

فاذا اكتملت الثقافة واكتمل التخصص وتعلم اللغات فقد ابتدأ دور الجهاد فأصبحت رسالة الأزهر الثانية والثالثة . أما الدور الرابع فالترجمة وإرسال الوفود تحت كل كوكب للتعليم والانذار والتبشير بالحكمة والموعظة الحسنة بفؤاد وادع وقلب سليم

وأن يكون من جهاد الأزهر طبع المؤلفات النفيسة عن الرسول وعن القرآن وعمن نصروا الرسول متشرفين بحكمة امامته العظمى ، وليكن من جهاده نشرها

حسب الأزهر أن يقوم بما تقدم لينقل للانسانية رسالة سامية تطمئن الأصغرين وتسعد في الدارين

الخلاصة عن رسالة الأزهر

١ — أن ينتخب طلابه من ذوى الشعور الخصب وعشاق الحق ليتعلموا مع العلوم الشرعية الأزهرية كلها تاريخ الأديان وفلسفة تلك الأديان وأساطيرها

٢ — ليتعلموا اللغات الحية

٣ — وأن يكونوا فئات في التخصص كل فريق يتخصص

الحياة الأدبية بالمغرب

بقلم محمد عبد المجيد بن جلون

لقد حان أن نتكلم نحن أيضاً عن الحياة الأدبية فى بلادنا ، فا(لرسالة) سائرة تتحدث عن الأدب فى الأقطار العربية ، التى — وإن بددتها الأطماع السياسية — ستظل تجمعها لغة الضاد إلى ماشاء الله . ونعنى بالمغرب المغرب الأقصى ، وبالأدب الأدبَ الحديث ؛ أما الأدب القديم فنود أن نرجع إليه فى مناسبة أخرى لما شاع فى المشرق من أن المغرب قطر لم يساهم فى الأدب العربى ، وتلك حقيقة اكتشفها مؤلفا كتاب : « المطرب فى تاريخ الأندلس والمغرب » محمد عجاج ، وعلى سعد ؛ ومصدر ذلك هو الجهلُ بالمغرب وتاريخه . والمؤلفان معذوران — إلى حد ما — لأن تاريخ المغرب — والأدبى منه بنوع خاص — لا يزال فى ظلمات المكاتب ، إلا قليلاً ؛ على أن هذا القليل نفسه لا يسمح لنا أن نحكم بأن المغرب ليس له أدب قديم ؛ وما نريد أن نزيدهما على ما كتب فى هذا الموضوع أستاذنا محمد علال الفاسى (المغرب الجديد — عدد ٣ — السنة الأولى)

وبعد ، فما هى حالة الأدب العربى بالمغرب اليوم ؟ لقد أجهدت نفسى فى أن أصل إلى جواب أطمئن إليه عن هـذا السؤال ، فما وجـدتُ الحقيقة إلا فى أنها حالة ضعيفة ؛ فما هى الكتب الأدبية — بالمعنى الصحيح — التى يصدرها المغرب ؟ . . . . . أعفنى بربك أيها القارىء ، فالحقيقة مرة ، وقلبى يضطرب عند ذكرها اضطراباً

وإذ عدمنا الكتب فلنتساءل عن الصحف . إن كل ما يصدره المغرب مجلتان أدبيتان : الأولى « مجلة المغرب » للأستاذ محمد الصالح ميسة برباط الفتح ، والثانية « المغرب الجديد » للأستاذ محمد المكىّ الناصرى بتطوان ، اجتازت الأولى مرحلة أربع سنوات ، والثانية أتمت سنتها الأولى منذ قريب . فما قيمة ما تنشر هاتان المجلتان ؟ ذلك ما نريد أن نتحدث عنه الآن باختصار

فأولاً يجب أن تعلم أن المجلات المصرية — يا للمجلات المصرية ! — طغت عليهما إلى درجة أن إحداها لا تباع فى فاس ، لأنها فقدت المشترى بالمرة وهما معاً تصدران شهرياً ، فلننظر الآن ما فى هاته المجموعات

أما ما يسمى بالبحث الأدبى ففيها الكثير ، خصوصاً حول الأدب العربى فى المغرب قديماً ، فهـذا البحث الذى يتابع نشره الأستاذ محمد علال الفاسى على الطريقة الحديثة ، عن أبى على اليوسى ، وبحثه القيم يبهر القارىء ؛ وهو يكتب الآن بحثاً عن أثر شعر المتنبى فى المغرب بمناسبة ذكراه الألفية ، وموضوع كهذا ، فى وقت بالمغرب كهذا ، يصدر بهذا العنوان الخطير ، يكاد لا يصدقه العقل ، وأحكم على البحث بالبراعة والالمام بالموضوع لأننى اطلعت على جزء منه

وأما إذا بحثت عما يسمى بالانتاج الأدبى ، فذلك ما لا تعثر عليه ، فليس يدور بخلد المغربى أن يعالج القصة ، بل القصة عنده لهوٌ وعبث يجب أن يضنّ عليه بوقته الثمين . . . وهناك شعرٌ قليل ولكنه نظم ليس إلا ، ذلك أن المغاربة يجهلون الشعر تماماً ، اللهم إلا قواعد جافة لا تسمن ولا تغنى من جوع . والذين يزعمون أنهم شعراء يزعمون كذلك أنهم أعلى من أن يحدثهم طه حسين مثلاً عن فن الشعر . يقلدون القدماء ويقفون ويستوقفون ، مما كان سائغاً فى العصور الغابرة أيام الناقة والجمل ، أما اليوم فكل هـذا محاكاة لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، وليست من الشعر فى شىء . كذلك يفقدون المثل الأعلى ، وإنما هو هذا [illegible] يجرى إلى

لعلم من العلوم حتى يجيـدوا فهم القرآن الحكيم الجامع لكل العلوم ويجيدوا تفسيره

٤ — أن يترجم الأزهر خيرة المؤلفات العربية ذات العلاقة بالدين الاسلامى والرسول العربى الى اللغات الحية

٥ — أن يبعث ارساليات تبشيرية تحت كل كوكب تبشر بالحكمة والموعظة الحسنة للناس جميعا

٦ — أن يكتب سيرة الرسول العظيم كتابة تتفق مع ماورد فى الفرقان الحكيم والأحاديث الصحيحة ، ورأى المؤرخين السياسيين المنصفين

٧ — أن يترجم تلك السيرة ، أم الحياة ، الى اللغات الحية جميعها وأن يطبع ما صُنف من المؤلفات النفيسة عن الرسول وعن الدين

(دمشق) لبيب الرياشي

غير غاية ، ومعان مفككة ، وهم ضعفاء الخيال ، والحقيقة أن حالة المغرب الاجتماعية لها الأثر الفعال فى هاته الناحية ، وهنا أستثنى شاعر شبابنا الأستاذ محمد علال العباسى فاسمع هاته النغمات الحلوة يرسلها قلب عليم قد امتلأ حباً لهذا الوطن العزيز :

وإذا متُّ عليـــه فأنا مطمئن لرضاه الثمن
فاغسلوا بالمـاء منه بدنى واجعلوا نسج بنيه كفنى
وادفنونى فى ثراه وضعوا فوق قبرى منه زهر السوسن
واكتبوا فوق ضريحى بدمى ها هنا قبر شهيد الوطن

واذا تصورت الشاعر منفياً عن مهد صباه ، بعيداً عن الأهل والوطن ، فى باريس ، طلبت منه أن تعيد النظر فى هاته الأبيات ؛ وهو لا زال لم ينشر ديوانه « روض الملك » بعد ؛ وله قصائد رائعة — عند ما كان فى باريس تجدها فى مجلة السلام ، يوم كانت مجلة السلام !

وأكثر ما ينشر ويذاع من قصائد للمغاربة ردئ سقيم ، أشفق على قارئه وسامعه أكثر مما أشفق على قائله . . .

والآفة التى تستولى على المغاربة هى الكسل ، وماذا يتطلب قول الشعر . . . هل يحتاج الى اطلاع فى التاريخ أو تحصيل شىء من الفنون . . . هكذا يظنون ، فينشأ الكسل

والنهضة المغربية تقوم على أكتاف الشباب الناشىء ، فهناك شباب يكتبون لأنفسهم ، ويقولون الشعر لها أيضاً ، وربما أطلعوا بعض أصدقائهم على ذلك ، وبعد هـذا فالى ظلمات الدرج ، حيث يعلم الله وحده ماذا يكون بها ، وكاتب السطور يعرف جماعة من هؤلاء فى فاس اطّلع لهم على قصص لا بأس به ، وشعر له حظه من الجودة يبشران بمستقبل حافل . اذن فالأمل فى الشباب الناشىء الذى يقرأ بنهم ما يكتبه أفذاذ الشرق ، فاعتدلت بذلك أفكاره نوعاً من الاعتدال ، ويوشك ان هو استمرّ على اجتهاده أن يكون منـه ادباء ، يبذرون فى الأرض المغربية الخصبة بذور الأدب الصحيح ، بل إنى أؤكد أن هؤلاء الناشئين لابد أن يكون لهم شأن ، فما كانت هاته الجهود لتضيع هباء

بهذه اللمحة الموجزة تستطيع أن تتبين ما فى المغرب من أدب ، وأن تستنتج أنه فى الحالة الحاضرة ضعيف الأدب ، وأنه وإن لم يكن ميتاً فهو قريب من ذلك ، وأن حالة الناشئة تبشر بمستقبل زاهر قريب ، لما لهذا الشباب الطموح من عزيمة

والعقلية المغربية أقرب الى العلم منها إلى أى شىء آخر ، ولو كنا نتحدث عن الحالة العلمية لطال بنا الحديث ، خصوصاً ما يلقى فى جامعة القرويين من دروس جامعة مع اعترافنا بما فيها من نقص وما تحتاج اليه من تهذيب

ولعله استرعى نظرك أننا ما ذكرنا غير الأستاذ محمد علال العباسى فليس معنى ذلك أنه ليس فى المغرب غيره ، ولكن معناه ، أنه — فى نظرى — أعدل إخوانه الأدباء رأياً ، وأقربهم إلى الصواب ، فهو أديب حقاً ، وله نفسية الأديب ، ويحيا حياته ، وكل من يعرف وداعتـه وأخلاقه يطمئن إلى ما نقول ، بيد أنه لا يصرف كل أوقاته — ولا جلّها — فى الأدب ، بل اشتغاله به محدود ضيق الدائرة ، ولو كان يفعل لكان أديباً جباراً فما خُلق إلا ليكون أديباً

بقى أن نقول إن القرويين والمدارس القوميـة والحكومية كلها تحمد وتعاب ، غير أن أفضل معهد للدرس هو القرويين ، ولو كان أبناء « الكولج ومولاى ادريس » يشتغلون بالعربية ، لكانوا أنجب من أبناء القرويين ، ولكن كل همهم فى الأدب الفرنسى والتفرج ، وهم زيادة على ذلك يعيشون فى ظلام لا يستطيعون السير فيه وحدهم

وهنا ننوّه بما (للرسالة) الغراء على أبناء المغرب من فضل ، فاليها يرجع طموح الناشئة ، على هداها يسيرون ، وبنورها يهتدون ؛ فشكراً لك (يا رسالة) الحياة ، ولك أنت يا مصر الشقيقة ، فلن تجدى فى المغرب نكراناً للجميل

فاس **محمد عبد المجيد بن جلون**

نهاية المجد الانسانى

لدانيل ديفوا Daniel Defoé

(١٦٦١ – ١٧٣١)

رسالة كتبها لاحدى الصحف بمناسبة موت الدوق مارلبرو

سيدى :

لقد أكببت أخيراً على درس التاريخ ، وطالعت حياة عظماء القرون الماضية كالاسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وأوغسطس العظيم ، وكثيرين غير هؤلاء وهؤلاء ممن تواردوا بعدهم حتى لويس الرابع عشر الكبير ، بل وحتى أعظمهم وأكبرهم « جون دوق مارلبرو » ! ! ، ولقد مررت فى طريقى بتيمورلنك حصاد الرؤوس ، وبتمور نبيجوس المصرى ، وبسليمان الكبير ، ثم بغير هؤلاء من سلاطين آل عثمان ، فاذا قد كتب عنهم جميعاً الواحد تلو الآخر بعد الآثار العظيمة التى خلفوها : « ثم مات » ! ! ! ؛ جميعاً أموات ! ؛ أموات ! ؛ أموات ! ؛ ؛ و «الموت» هو نهاية كل منهم ! ! فالبعض يرقد فى مهد الشرف ! والبعض على سرير الخضوع الذليل ! هذا قد مات شجاعاً فى ساحة الشرف ! وذاك قد تردى فى هوة المجد أثناء عاصفة الهجوم ! البعض هنا والبعض هناك ! تختلط عظام الشجاع الصنديد منهم بعظام الجبان الرعديد ! وبقايا البطل الجرىء ببقايا النكرة الدنىء ! يرقدون هناك فى أكفان النسيان تحت أنقاض الثرى ؛ لا يتميز واحد من الآخر ولا يباينون التراب فى شىء ! »

« ترقد هذه الساعة الدقاقة الفاخرة مختلطة بالأقذار ؛ وهى التى كانت « عظيمة » فظنت نفسها عارفة مقتدرة ! »

كم آلاف من الأبطال يرقدون فى هذا العالم أكواماً متناثرة ؟ كم يجرف الريفيون عظامهم بمحاريثهم وكم يسحقها العمال بفؤوسهم ؟ بل لكم تحول الأرض أنبل وأسمى أعضائهم إلى ما يستعمل فى أحط المنافع ! لكم مزجنا رماد الأبطال بطلاء منازلنا ؟ ؛ ولكم خلطنا رماد قائد رومانى بملاط حظيرة للخنازير ! أين رفات (قيصر) ؟ أين بقايا (بومبى) وانقاض (سيبيو) و (هنيبال) ؟ ؟ كلهم قد تلاشوا ! ! اندثر رمادهم ولم يعد مكانهم يعرفهم ! لست تراهم إلا فى الكتب الباقية لشعرائهم ومؤرخيهم ؛ والرسائل الكثيرة لمداهنيهم ومتملقيهم الذين صوروا لنا الأشخاص لا كما كانوا حقاً ! بل كما كان يحلو لهم أن يصوروهم ! ! ! . . .

***

وما يقع لأعظم الناس يقع لأطولهم عمراً ! فقوم نوح انتهوا جميعاً بشىء واحد ؛ عاش منهم (متوشالح) تسعمائة سنة وتسعا وستين ! وأعقب أبناء كثيرين وبنات كثيرات ! ثم ماذا كان ؟ كان أن مات . . ! « الحياة حلم ، والموت نهر طام يجرفنا »

***

نحتفل الآن بجناز مارلبرو « العظيم » ! ! فكل انتصاراته وكل مفاخره ، وكل خططه الحربية التى دبرها ، وكل فتوحاته المتسلسلة المطردة ، كل ذلك الذى يخصونه به كما لو كان وحده قد حارب وانتصر ، وفاز وكسب ، دون أن يمده الكثيرون بأرواحهم ودمائهم ! كله قد انتهى حيث ينتهى آخرون ! بل حيث ينتهى الناس جميعاً ! انه مات ! ! فلا ثروته الضخمة ، ولا أسلابه من أعدائه ، ولا سخاء حبيبته البارة وكرمها ، ولا الكنوز المتراكمة فى الحرب وفى السلم ، ولا كل هاته الكتلة العظيمة من الذهب التى لا أعنى بتعيين ضخامتها كما قد يعنى البعض ! ! شىء من ذلك لم يستطع أن يهبه الحياة ؛ ولا أن يطيل له أمدها لحظة ؛ لقد انتهى وكفى . . . !

لا ، بل يقول البعض إن الكنز العظيم الذى امتلكه فى هذا العالم ذو خاصية غريبة عالقة به كانت تكون جد منفعة لصاحبه لو اعتنى بالتفكير فيها قليلاً ! وهى أنه لايستطيع أن يأخذ شيئاً منه الى قبره ... !!!

لم يبق لنا شىء من ذلك « العظيم » يتحدث عنه غير تاريخه وتمثاله ؛ لقد عد الآن فى الماضيات ، وأصبحت صور جنازته ومعاركه جديرة بأن تتزين بها منازلنا كسائر القطع الفنية التى

تعادلها زهواً وبهاء، وتساويها فى النظر اليها بسرور وارتياح !!!

***

هكذا نهاية المجد الانسانى ! وقليلاً ما تستطيع الدنيا القيام به لأعظم من يلجونها ! بل ولأعظم قدر يصل اليه هؤلاء الرجال . . . ! !

فما وظيفة الحياة إذاً ؟ وما أثر العظماء الذين يمرون على مسرح الدنيا فى حلل النصر كهؤلاء الذين ندعوهم « أبطالاً » ؟ ؟ أهو أن يكبروا وينفخوا فى بوق الشهرة ويشغلوا صفحات كثيرة من التاريخ ؟ ؟ واأسفاه ! ! ليس هذا بأكثر من وضع قصة يقرأها الخلف فيما بعد ويصورها خرافة ورواية ! ! أم هو أن يقدموا للشعراء موضوعا يعيشون به فى أشعارهم الخالدة كما يدعون ؟ ؟ وذاك أيضاً سيؤول بهم إلى قصة شعرية يتلوها العجائز لأسكات الأطفال ، أو لجمع مساعدة للفقراء والمساكين على قارعة الطريق . . . !

أم أن أثرهم هو أن يضيفوا الفضيلة والتقوى لمجدهم ؛ وهما العنصران اللذان يأخذان بهم إلى النعيم ويجعلانهم حقاً خالدين ؟ ؟ وما المجد من غير فضيلة ؟ ؟

ليس العظيم من غير تقوى بأكثر من دابة ضخمة من غير نفس !

ثم ما الشرف بغير قدر واستحقاق ؟ ؟

وماذا يمكن أن يدعى قدراً حقيقياً غير ما يجعل الشخص تقياً كما هو عظيم ؟ ؟

إنا إذا كنا نؤمن بحالة مستقبلة للحياة ، بمكان يكافأ فيه الفضلاء ، ويعاقب بين جدرانه السفلة ، فكم من الرؤوس المتوجة سيلبس تاج السعادة والخلد ؟ ؟

لا يحسدن أحد « العظماء وذوى المجد » كما نسميهم ! !

فانا إذا استطعنا الآن أن نراهم وجدنا أكثرهم يستحق الرثاء لا التهنئة ! ! ؟

هذه الخطرات القليلة أبعثها اليك ياسيدى لتهيء عقول قرائك قبل أن يذهبوا لمشاهدة الجناز الفخم للطيب الذكر « دوق مارلبرو » . . . . ؟

زجمة محمد حسني ظاظا

الأدب بين الخاصة والعامة

لامرتين ورينه جارد

للسيد اسكندر كرباج

فى عام ١٨٤٦ قصد الشاعر الفرنسى لامرتين إلى مرسيليا لقضاء بضعة أسابيع فى أحد أحيائها الهادئة ، بعيداً عن متاعب السياسة وضوضائها ، وكان لامرتين وقتئذ فى أوج مجده الأدبى وعظمته السياسية ؛ فاحتفت به أندية العلم والاجتماع فى تلك المدينة البحرية ، وأكرمه الأدباء والشعراء ، ونظموا فيه القصائد البليغة

وفى ذات يوم ذهب لامرتين وزوجه للنزهة على ساحل البحر ، فلما عاد مساء قيل له إن فى الرواق المطل على الحديقة امرأة وضيعة الهيئة بسيطة الهندام تنتظر رجوعه منذ الصباح . فتوجه لامرتين إلى الرواق المذكور ليرى تلك المرأة الغريبة ويقف على حقيقة أمرها ؛ وبعد أن يشاهدها ويحدثها ويصف ملامحها ونظراتها واشاراتها بتلك الرقة الساحرة وذاك البيان الخلاب الذى اشتهر به مؤلف رواية غرازيلا ورفائيل يسألها عن الغرض من قدومها لزيارته ، فتجيبه أنها خياطة فى اكس ، وقد قرأت رواياته ومنظوماته ، وأعجبت بجمال تعابيره ورقة شعوره وسمو خياله ، فلما اطلعت فى الصحف على خبر قدومه إلى مرسيليا واحتفاء دوائرها الأدبية به تولدت فى نفسها رغبة التعرف به والتحدث اليه ، وانها على الرغم من فقرها وخمولها تجرأت على ترك عملها والقدوم سرا الى مرسيليا تحقيقا لرغبتها

فيتودد اليها لامرتين ويلاطفها ويقول لها انه يشك فى أنها تركت عملها وتحملت مشاق السفر يومين كاملين ، وقضت معظم النهار فى انتظار رجوعه من نزهته لكى تراه وتحدثه وتتعرف اليه فقط ؛ بل يجب أن يكون هنالك سبب آخر لقدومها لا تريد ذكره ، أو إنها لا تجرؤ على التصريح به ، ولذلك فهو يسألها أن تخاطبه بحرية وتبوح له بما فى قلبها من غير تكلف

فتفقد هى إذ ذاك شيئاً من خجلها واضطرابها ، وتخبره أن فى إكس أسرة كريمة تعرف شدة ميلها إلى المطالعة وعجزها عن شراء الكتب فتعيرها ما تقتنيه منها ، فاستطاعت بذلك أن تطالع

عددا كبيراً من الروايات النفيسة والمنظومات الرقيعة ولاسيا رواياته ومنظوماته التي تطرب المسامع ، وتحرك القلوب ، وتستذرف الدموع

فيقاطعها لامرتين مبتسما : عرفت الآن ! إنك شاعرة كالنسمات التي تهب بين أشجار الزيتون ، أو كالندى الذي يبلل أثمار التين !

فتجيبه : لست شيئاً من ذلك يا سيدي ؛ إني خياطة وضيعة لا أبرح غرفة عملي إلا نادرا ، وسلوتي الوحيدة الدرس والمطالعة ، وليس يؤنسني في وحشتي وانفرادي إلا عصفور غرِّيد ، ولكن هذا كله لا يهمك أمره ، لقد سألتني عن سبب قدومي إلى مرسيليا وكيف عرفت بقدومك اليها ، فأجيبك أني قرأت منذ أيام في صحف هذه المدينة أبياتاً من الشعر الرقيق ليوسف أوتران في مدح لامرتين والترحيب به ، فشوقتني هذه الأبيات إلى رؤية الشخص الذي أوحى إلى شاعر مقاطعتنا نظم تلك الأبيات الجميلة ، وبتُّ لا أستطيع صبراً على ذلك . وبعد وثوق من وجودك هنا قدمتُ لزيارتك دون أن أهتم بملبسي أو بغيره مما يجعلني أهلا للمثول في حضرة رجل مثلك ؛ وهأنا أمامك الآن لا أدري ماذ أقول ولا ماذا أفعل ، وربما حملتك حالتي هذه على الاعتقاد بأني امرأة جسور مغامرة أتت تخدعك وتدعى ما ليس فيها ، مع أن الحقيقة هي ما أوردته لك بالتمام ، وبعد أن شاهدتك وعرفتك وحدثتك وحظوت منك بهذا الاستقبال اللطيف سأعود إلى قريتي حاملة أجمل ذكرى لهذه الزيارة

فيقول لها لامرتين : خفقي عنك أيتها الآنسة ! لم يمر في خاطري قط أنكِ لست كما تذكرين ، فملامحكِ أنصع دليل على صدقكِ وسلامة طويتك ، وإذا كانت الألسنة تخدع أحياناً فالعيون لا تضلّل أبداً ؛ ففي عينيك بريق يشفُّ عن براءة ونقاوة لا يمكن أن تكونا برقعاً لامرأة كاذبة تمامة . إن الطبيعة لم تخلق الملامح كذوبة ، فأنا أثق بكِ كما لو كنت أعرفك منذ الصغر ، ولذلك لا أسمح لكِ بالانصراف ما لم تحدثيني طويلاً وتشاركينا في العشاء ؛ لقد ذهبت زوجتي لتغيير ثوبها ولا تلبث أن تأتي لاستقبالك والقيام بواجب الضيافة نحوك . وقبل أن يحين وقت العشاء أخبريني كيف تولد فيكِ هذا الميل إلى المطالعة ، وهذا الهيام الشديد بالشعر والشعراء ، والتعرف إلى الأدباء الذين طالعتِ رواياتهم

فتروى له قصتها قائلة : إسمي رينه جارد ، وقد وُلدت في قرية قريبة من إكس ، ودخلتُ صغيرة في خدمة السيدة ... ورافقت نشوء الأولاد ، ونعمت بعطف الأبوين وصداقة الصبايا ، وكنت أصغى إلى ما يتعلمنه على الأساتذة وأطالع كتبهن في أوقات الفراغ ، فتوصلتُ بهذه الواسطة إلى تحصيل بعض العلوم ومعرفة القراءة والكتابة والخياطة والغسل والكيّ وغيرها مما تحتاج إليه الفتاة ويكلفها تعلمه نفقات كبيرة . وكنت أتولى خياطة ثيابهنّ ، وأعدهن لحضور الحفلات في إكس ، وأنتظر رجوعهن من المراقص حتى الساعة الثانية والثالثة بعد نصف الليل ، ومكافأة لي على ذلك كن يدفعن إلى كتاباً أو رواية لكي أطالعها في غيابهن ؛ فكنت أجلس بها إلى جانب الموقد وآخذ في مطالعتها مرتين وثلاثاً ولا أتركها من يدى إلا بعد أن أكون قد استوعيت معانيها جيداً ؛ وهكذا طالعتُ قصة السكينة لورانس في روايتك الشعرية جوسلين ، وقد قلت لنفسي وقتئذٍ : هل يسعدني الحظ برؤية كاتبها ومحادثته ؟ لا ريب أنك تعرف أنشودة البحرى التي مطلعها : من هو ناظم النشيد ؟

فيجيبها لامرتين : نعم أعرف تلك الأنشودة التي يضع ناظمها اسمه تحت آخر بيت منها كما كان فيدياس يضع اسمه على قاعدة تماثيله ، وفانديك في ذيل رسومه لكي يخلد بخلودها . ولكن أخبريني كيف انفصلت عن تلك الأسرة الكريمة ، وأي عمل تمارسين الآن ؟

فتقول له رينه : بعد أن تزوج البنات وتوفيت الأم لم يعد من حاجة إلى بقائي في البيت ، فغادرته على ألا أدخل في خدمة غيره ؛ وقد ساعدني الأب بمبلغ من المال على تدبير أموري ، وقال لي البنات : اطمئني فلن نحوجك إلى الاستجداء

وكنت محبوبة معتبرة في بيئتي ، فاستأجرت حانوتاً تعلوه غرفة صغيرة للنوم ، وانصرفت إلى احتراف الخياطة ، ولكثرة الاقبال عليّ كدت لا أستطيع تلبية الجميع ؛ وأنا أعيش اليوم من إربتي ، وما يفيض عن نفقاتي أختزنه ليوم الضيق أو لأيام شيخوختي . وكانت لي عصفورة تسليني في وحدتي ففقدتها وحزنت عليها كثيرا ، وأنا أخصص أيام الآحاد والأعياد للمطالعة . وفي المدينة أشخاص من الطبقة العالية مثلك ، وعلماء وأدباء حتى وبعض أعضاء المجمع العلمي يعرفون ميلي إلى المطالعة والنظم في بعض الحفلات ، فلا يخجلون من دخول مصنعي ومحادثتي وإعارتي بعض الكتب

فيقول لها لامرتين مبتسما : أتنظمين الشعر أيضاً يا رينه ؟ كدت استشف ذلك من عينيك الحالمتين ، إذ لا سماء بدون غيوم ، والأحلام والنظم هى غيوم تينك العينين الجميلتين ؛ ولكن هلمى بنا ، لقد هجرت أنا النظم ، ولكنى لم أزل أحن إلى سماع رناته والاستمتاع بروائع صوره ومعانيه . فما أجمل زمن النظم ! وما أشد شوقنا اليه ! هل تتذكرين يا رينه شيئاً من نظمك فتسمعينى إياه ؟ انظرى ما أبدع هذا المكان وألطفه لانشاد الشعر ! فالشمس على وشك المغيب ، والبحر يحمل إلى مسمعنا هدير أمواجه وخشخشة أصدافه التى هى أشبه بغناء صغيرة تضرب على الصنج ، والنسيم يداعب أشجار الليمون وينثر أزهارها العذرية على شعرك الأسود ، وأنا ، هذا الغريب الذى كان شاعراً فيما غبر من الأيام ويجلس وحيداً أمامك ليسمعك وقد أعجب بنبرات صوتك ، ألا يساوى كل هذا فى نظرك جمهوراً من السامعين حتى ولو كانوا من أعضاء المجمع العلمى ؟

فتجيبه رينه : لا جرأة لى على ذلك ياسيدى ، ولكننى أحتفظ بمقاطيع من الشعر كنت قد نظمتها فى إحدى ساعات كآبتى ، فأفضل أن تقرأها أنت من أن ألقيها أنا على مسامعك . ثم تخرج من جيبها بضع أوراق وتدفعها اليه

فيأخذها لامرتين ويقرأها لنفسه ؛ وكانت هى فى أثناء ذلك تمسح وجهها بمحزمها وتحول نظرها عن وجه لامرتين مخافة أن تقرأ فيه ما يدل على استهجانه

ثم يصف لامرتين تأثير تلك القراءة فى نفسه فيقول له :

لقد أعجبت وتأثرت جداً بما قرأت ، انه التعبير الساذج اللطيف المؤثر بكل قوته ومعانيه ، بل خلجات قلب هادئة تصل الى السامع بصورة شجية متناسقة ، بل صورة ملامحها المتواضعة التقية اللطيفة بكل خطوطها وعلاماتها ؛ وبكلمة واحدة ، انه شعر حقيقى لامرأة تحاول التعبير عن عواطفها بالضرب على أوتار آلة تجهلها

لم تكن الأبيات التى طالعتها شديدة أو رنانة كشعر راول ، ولا حماسية وهاجة ، أو ندية فضفاضة كالياسمين ، بل كانت هى نفسها : نغمة مملة كئيبة تنشدها عاملة فقيرة لنفسها وهى تحرك أناملها أمام نافذة غرفتها لكى تخفف تعبها من عمل الابرة

كان فى الأبيات نغمات حادة تجرح القلب ، وأخرى لا تحتوى إلا نبرات غامضة لا تلفظ كأن التنفس وقف فى منتصف الاستنشاق ، غير ان هذا كان قوياً وتاماً ومتغلغلاً حتى القلب وحتى السماء ؛ وكان التأثر فيها يفوق الاعجاب . وعلى الجملة أنها الشعر فى حالة التكوين ، الشعر الذهبى كما هو فى كل مكان حيث يبتدئ فى الشعب ولو خلا من صوت الفن ، ان نغمة واحدة مملة كئيبة ، وقصة تتألف من حادث أو حادثين ، وسبع أو ثمانى صور كافية للتعبير عن اللانهاية !

ثم يرجع لها الأوراق قائلاً : إن فى منظوماتها أشياء خلابة وأن الله منحها موهبتين ساميتين : الشعور بدقة ، والتعبير بظرف ؛ وهما موهبتا المواهب ، أو موهبة الدموع فى الصوت ، ولكنه أبعد من أن يشير عليها بنشر تلك المنظومات التى هى مثل المياه لا تستعذب الا اذا نهلت من ينبوعها

فتجيبه رينه : ماذا تقول ياسيدى ؟ انى لم أفكر قط فى أمر كهذا ، إن اقدامى على نشر الكتب يحمل حتى ملاكى الحارس على السخرية بى . لقد نظمت ما قرأته الآن يوم الأحد الأخير على سبيل التسلية فقط ، ولا أحد يعلم به فى اكس . ومتى كان الانسان يعيش وحيداً مثلى يضطر الى التكلم عالياً كى يستوثق من وجوده ، فالمنظومات التى قرأتها هى مناجاتى لنفسى

(العصبة) اسكندر كرباج
من العصبة الأندلسية

نحن والزمن

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مقـدمة :

الزمن كما يفهمه الانسان فكرة من أفكاره ، ونسبة ومقياس من صنعه ، فهو يقيسه باحساسه بأمور نفسه وبالمرئيات والمحسوسات وما يعتريها من تحول ؛ وفكرة الزمن هذه أمر نسبي شأنها شأن الاحساس بالحرارة والبرودة ، أو بالابعاد والحجوم والألوان والأشكال ، ومن المستطاع أن يتصور العقل مخلوقاً آخر غير الانسان يختلف فى حواسه ، فتختلف كل هذه الأمور فى نظره عنها فى نظر الانسان ، وهى أيضاً قد تختلف فى نظر الانسان فى حالاته المختلفة من شقاء أو سعادة أو مرض أو صحة . والعجيب أن الانسان فى خياله ينسب إلى الدهر مثل هرمه لقدمه ، فيصوره كأنه شيخ مفن فى يده منجل يحصد به الناس والخليقة جيلا بعد جيل ، والدهر خليق أن يمثل بفتى فى ريعان الشباب . فالانسان يهرم والدول تشيخ وتفنى ، والأجيال تنقرض ، والدهر هو الدهر ، ومن أجل ذلك تصور بعض المفكرين الدهر كأنه زمن حاضر لاماضى فيه ولامستقبل ، وأما الماضى والمستقبل فنى الناس ، والحقيقة أن هذه الفكرة فى كنه الزمن لا تختلف عن الأولى مادام الزمن نسبة يقيسها الانسان باحساسه ، وإذا كان الزمن كذلك فعاداة الناس للزمن معاداة لأنفسهم ، ونسبتهم الحيف والظلم إليه هى نسبة الظلم إلى أنفسهم

(الناظم)

القصيدة : —

يُنْشِدُ البَحْرُ خَرِيرَ الحِقَب … أم خفوقُ القلب نبضُ الزمنِ (١)

أم ترى الأفلاك فى دورانها … رَتّلَتْ منـــه خَفِيَّ اللَّحَنِ

فَرَشَ الناسُ له منهم وُجُوهاً … خَدَّدَ الدهر بها ما خَدَّدَا

أثَرٌ فى سيره مِنْ قَدَم … جَعَّدَتْ ما كان بَضّاً أمردا (٢)

زعم الناس إذا أمضاهمُ الـ … ـدهر أنْ أمضوا من الدهر سنينْ

يستطيع البذل من يقوى على … خَزْنِهِ هيهات ذا من هالِكين

كم ملوك ودهم لو تُشْتَرَى … منه عند الموت بالذخر التليدْ

سَنَةٌ أو ســاعة أو طرفة … فإذا الدهر قضاء لا يحيدْ

إيه يادهر لقـــد شاطك الـ … ـحُكم فى الناس قضاء لا يحول (٣)

(١) فى البيت تشبيه للدهر بالبحر ، وكأن له خريراً من تعاقب أجياله كخرير البحر من تعاقب أمواجه ، وكأن الدهر أيضاً قلب نبضاته كدقات الساعة التى يقاس بها الزمن ، أو كنبضات قلب الإنسان الذى يقاس الزمن باحساسه

(٢) كأن أخاديد التجعد فى وجه الانسان آثار قدم الدهر وهى كآثار قدم الانسان فى الرمال (٣) القضاء لا يحول عما يراد بالخليقة

أرْدِهِ يا دهر واعقـــد غيره … إنما القِرْنُ على القِرْنِ يصول

كم شـــقىٍّ أبطأ الموت له … ودهُ أن لو يلاون الأسرعا

سَلَّمَ الدهر عليـــه مثقلاً … ثم ما أبطأ حتى هـــرعا

وسعيد يجتنى من عيشه … زَهَرًا يرجو لو الدهر تأنَّى

فسواء مُتْعَسٌ أو مُسْعَدٌ … أين مَنْ يحمد خَطْوَ الدهر أيْنا

نحن نبغى من زمان فسحة … هل ربحنا من زمان وقد قضى (١)

لو يعود الدهر مردود الخُطَى … لفعلنا فعلنا فيما مَضَى (٢)

وصفوا الدهر بشيخ حاصد … أشيب فى يده كالمنجـــل

وهموا فى شيب دهر يافع … ذى فتاء خالد لم ينْصُل

يسرق الدهر بهاء رائعاً … ويعير النُّوئَى حُسْناً أروعا

فهو كالرسام يمحو صـــورة … ثم يســـتنبط رسماً أبدعا

وتَرَى الدَّهْرَ مُغيراً آسـيا … يده تأسو وأخرى تجرح

والذى فى القوم بالرزء يصول … يمنح السلوان فيما يمنح

ولعل المُضْمَرَ المخبوء من … مصرع الدهر يُرَى بالأعين

مصرع الدهر ممات للدُّنَى … كيف يبغيه الورى بالإحَنِ

موته موت لمن قد قاسه … باتصال الفكر أو خفق القلوب.

عجباً نحن خلقناه فمـــا … نسبة الظلم إليه والعيوب (٣)

عبد الرحمن شكرى

(الرسالة) ربما كان للعروضيين فى بعض أبيات القصيدة رأى لا يتفق مع حرية الناظم

(١) فسحة من الزمن : أى زيادة منه ، وقضى : أى مات واندثر ومضى

(٢) كثيراً ما يمنى الانسان نفسه بأنه لو عاد إليه ماضى عمره لفعل به غير ما فعل ، وهذا وهم ولا يغير أفعاله إلا إذا تغيرت نفسه

(٣) خلقناه بمعنى أنه فكرة نسبية يتخذ الانسان لها مقياساً من حواسه وهى ليست كل ما يمكن أن يكون من الحواس

مواجع شاعر

[مهداة إلى رفيقي الأستاذ أنور العطار]

للأستاذ زكي المحاسني

إن أشعارك المآتم فيها
كل بيت بصيب الدمع يشرق

إن حياة صفت فأنتَ مُوفَّقْ … تترك الحزن والبكاء وَتَعْشَق
والشكاة التي تدوم ملالٌ … رُبَّ قَلْبٍ لا يَشْتَكي يَتَمزَّقْ
هل حلفتَ اليمين أنك في النَّوْ … حِ ستغدو مثل الحمام المُطوَّقْ
إنَّ أشعارك المآتمُ فيها … كل بيت بِصَيِّبِ الدَّمْعِ يَشْرَق
أنا أدري بسرِّ نفسك في الهَـ … ـمِّ وعندي لك الدواء المُفوَّقْ
أقْتُلِ الهمَّ بالسلوِّ لتحيا … خالص النفس كالذي اليوم يُخلَق
واهدم البيت واترُكْهُ يباباً … في يَدِ الرِّيحِ عنده البوم يَنْعق
وَابْنِ في نَفْسِكَ الجديدة بَيْتاً … بالأمانيِّ والسرور تَزَوَّقْ
كيف تَحْنُو على الذي ليس يَحْنو … وَيَنَامُ الدُّجى وأنت مُؤرَّقْ
الهَوَى بالبَدِيلِ . وهو شقاء … إنْ عَلِقْنَا الذي بنا ما تَعَلَّقْ

يا حبيبي يا من فديتك أبْصِرْ … نِي مَلِيًّا وفي فؤادي تَعَمَّقْ
رُبَّما قد شَمَمْتُ زهرك في عُنْـ … ـفٍ ويا ليتني بهِ أتَرَفَّقْ
أنتَ نَغَّصْتَ بالفتون حياتي … فإذا لاَحَ لِي جَمَالُكَ أشْهَقْ
كم تَأَمَّلْتُ في بَهَائِكَ حتى … ضِعْتَ عني وكادتِ العين تُزْهَق

يا رفيقي الذي ألومك إنِّي … في شجوني بلوم نفسيَ أَخْلَق
فيمَ لا أستطيعُ أَكْتُبُ شعراً … عن دماء في مطاب الحقِّ تُهْرَق
أنا طَيْرٌ خلقتُ في القَفَصِ الحُلْـ … ـوِ وموتي يجيئني حين أُطْلَق
لِي عذابٌ متى تفكرت فيه. … صار دمعي في مقلتي يَتَرَقْرَق
إنْ أتاحَ الزمانُ تَغْييرَ حالي … سِرْتُ مِنْ هِمَّةِ الزمان بِفَيْلَق
وتعاليتُ في عظيم المعالي … مثل نسرٍ في قُبَّةِ الجوِّ حَلَّق

دُونَكَ الوَجْدَ فابكِ ما اسطعتَ شعراً … فَصِفاتُ الأزهارِ أن تَتَفَتَّقْ
يُشْبِهُ الشَّاعِرُ البَخُورَ فلا يَنْـ … ـشُرُ طِيباً حتى على النارِ يُحْرَقْ

إلى النسيم (*) ...

بقلم العوضي الوكيل

هُبَّ وافتح مغالق النفس فتحا … واسرِ في مهجتي مساء وصبحا ..
وتهامس إليَّ ؛ ياما أحيلى … لغةً منك في المسامع فصحى !
وتحمل من البحار قطاراً … وتحملْ من الأزاهرِ نَفْحا

* * *

واشمل الكون يا نسيمُ وجيء قلـ … ـبي ، فخدُّ المطافِ قلبٌ بصيرُ
مُقلتايَ اللتان لا ترَيان الـ … ـكَوْنَ إلاَّ كما يَرَاهُ كثيرُ
لا تمُدَّان خاطري بمعانٍ … لذَّ فيها الأسى ، ورَقَّ السرورُ
ليس بالكونِ ما تراه عيوني … إنما الكونُ ما يراه الشعورُ !

* * *

مُرَّ بي عابساً ، ومُرَّ ضحوكاً … وأرِني بائساً ؛ وجئني سعيدا
رُبَّ شاكٍ نقلت شكواه عندي … فتهادَتْ بين الضلوع نشيدا ..
وأخي صبوةٍ يبثّ حنيناً … بتَّ أشدو بما يحنُّ قصيدا !
إن قلبي كمرصد ترسم الأنـ … ـسامُ فيه على الشغافِ الوُجودا

* * *

أيهذا النسيم ، وانقل سلاماً … من حبيبٍ إلى حبيبٍ ناءِ ..
إن أسرَّا إليك يوماً بأمرٍ … فإلى الكتم .. لا إلى الإفشاءِ ..
ونعمَّا النسيم في الصيف يهفو … لفؤادي الحزين كلَّ مساءِ ..

العوضي الوكيل

(*) من ديوان « تحية الحياة » يصدر بعد ثلاثة أسابيع . . .

غيرة

بقلم السيد الياس قنصل

أيَّ معنى فيك من سرِّ الهوى … بث في نفسيَ أطياف الألم
فغدا حبيبي منها ظمئاً … لا لحا ليسَ يرويه قسَمْ ؟
انني أعرفُ ما تورثه … فيكِ نجوايَ من الدل الثمين
فاذا كان حديث الحبِّ من … فم غيري ، فبماذا تشعرين ؟

القصص

قصة عراقية واقعية

الشـــفاء ..

بقلم سعيد عبد الاله الشهابي

جلست على أريكة فى سهوم أخاذ تطالع عيناها كتاباً بقى مفتوحاً على مائدة صغيرة أمامها زهاء الساعة دون أن تتلو حرفاً أو تقلب صفحة . كانت عيناها السوداوان الساجيتان العميقتا المعنى تنظران وتطيلان النظر فى لا شىء كمن يريد أن يستشف ما وراء حجب المادة . وتناولت سيكارة صغيرة مذهبة من علبة جميلة من العاج حمراء ، وتنهدت عميقاً كمن ازاح عن صدره ثقل ، وراحت تنفث الدخان ذاهلة ، وربما ظنت أن الغرفة لا تضم سواها

تلك كانت حالها منذ حلت هذا البيت .. بيت كبرى اختيها ، وكانت هذه متزوجة برجل من ذوى القربى الأبعدين ، وهو من موظفى الدرجات المتوسطة فى الحكومة

***

تقدمت منها خادم تحمل فى صينية قدحاً من البلور الصافى صغيراً فيه شاى كانت تفضل الشرب منه ، ووضعته أمامها على المائدة الصغيرة وانسحبت بهدوء

بقيت زهاء ربع ساعة ساهمة كالحالة ثابت بعده إلى نفسها والتفتت إلى جليساتها ، وهن من صديقات اختها الحميات وبعض قريباتها ، وكن يتحادثن بصوت خفيض حرصاً على تركها فى تفكيرها إذ كانت إلى نفوسهن أقرب وإلى قلوبهن أحب .. فلقد وجدن فيها شابة مكلومة الفؤاد خائبة الأمل .. والمرأة بطبيعتها تعطف على المرأة

***

أحبت فتى من ذوى قرباها لم تعرف سواه . يوم لم تكن سنها تتجاوز السادسة عشرة . بادلها الحب فأخلصت له وأحبته بأقصى ما تستطيع المرأة أن تحب .. حتى إذا أوشكا على الزواج عافها وولاها ظهره .. واختص نفسه بواحدة سواها .. كانت صديقة لها . ربما كان له بعض الحق فيما فعل لولم يبادلها الحب فى أول الأمر ، لكنه انغمر وإياها فى لج بحره الطامى جنباً إلى جنب ، حتى إذا بعدا عن شاطئه فأضناها التعب وأضحت مكدودة تخشى الغرق فى قاعه عاد وتركها لينجو بنفسه .. وقد مرت على ذلك سنتان ؛ فيا للقسوة ويا للظلم !

لم تعد تستطيع العيش حيث نكبت فى قلبها ، فما لبثت أن حزمت متاعها وزمت حقائبها واستقلت القطار السريع من البصرة مسقط رأسها .. إلى بغداد حيث أختها . فلقيت حنواً وعطفاً لا مزيد عليهما

***

شربت قدح الشاى بأسلوب خاص ورشاقة فذة .. ثم شرعت فى محادثة جليساتها بصوت موسيقى رخيم تخللته ضحكات صافية الرنين لكنها قصيرة يختفى تحتها ألم مكبوت وهم دفين وجذبت نفساً طويلاً من سيكارتها ، والقت على متكأ

كلما اقترّ محيّاك انجلى — كلُّ ما فى الحسن من شكل وفنّ

أفتبقى هذه الفتنةُ فى — هذه البسمةِ ان أبعدتِ عنى ؟

ويظلّ السحرُ فى عينيك إن — كان غيرى فى مرامى نظراتك

وإذا حدّثتِ ، مثلى يجتنى — متعاً رائعة من كلماتك ؟

إنّ للغيرةِ فى صدرى يداً — جعلته مذبحاً للشُّعلِ

خبرينى كيف أدرى ان بدا — لكِ فكر أو خيال ليس لى ..

(عاصمة الأرجنتين) الياس قنصل

الأريكة برأسها الجميل فبدت تقاطيع وجهها الرائع الفتان وجيدها الأتلع ، وتناثرت خصل شعرها الكستنائي السبط فبان جبينها الأسمر العاجي الوسيع . . ونفثت الدخان ناظرة إلى السقف ، كان صدرها يعلو ويهبط باتزان ، وكانت عيناها الجميلتان تشعان شعاعاً ينم عن ذكاء متقد وحس دقيق وعاطفة فياضة متوثبة وروح حزين وثقة بالنفس نادرة عند النساء . لم يكن شأن من شؤون الحياة ، غير ذكرى حبها ، ليشغل بالها . فليس سبب قلة كلامها وطول تفكيرها وايجازها ان تحدثت إلا تلك الذكرى ، فموارد عيشها كانت وفيرة برغم كثرة مصاريفها ، فهي في حرز ومأمن من هذه الوجهة . فلقد كان ماتدره عليها أملاكها الموروثة عن الجدود ما يفيض عليها النعمة

***

ودار بخاطرها طائف من الشك : لماذا هجرها حبيبها ؟ أهي غير جميلة ؟ وبدا لها أن تخرج من الغرفة ، فاستأذنت عجلى ودخلت غرفتها وأغلقت الباب بالمفتاح وأقبلت على المرآة الكبيرة في خزانة الملابس وراحت تحدق فيها . فاطمأنت وزال شكها وأخذها شبه غرور . لكنها سرعان ما أحست بألم يرمض فؤادها وبنار تحرق وجهها ورأسها ، وتخاذلت تخاذل المرأة المطعونة في كرامتها ، وألقت نفسها على السرير قبالة المرآة ، وراحت تناجي نفسها : إيه أيتها الطبيعة ! هل أوجدت هذا الجمال الفتان ليقاسي هذا العذاب ؟ فهل مثل هذا الشباب الغض يستحق هذا العقاب ؟ وهل مثل هذه الروح الفتية تستحق خيبة الأمل ، وتابعت محادثة نفسها ، وهي تنظر إلى صورة لأفروديت كان الحبيب الغادر أهداها لها ، وأنت يا آلهة الحب . ربطت بروابطك قلبي بقلبه فأخلصت وخان . . ولبيت نداءك وصم هو أذنيه . . فما بالك أيتها القاسية تعاقبين المخلص وتتركين الخائن . أفما كنت ترحمين المخلصة بأن تحليها من العقود التي ربطتها بها . أنظري إلى هذا القد الأهيف المياس ما أشد نحوله . أنظري إلى هذه الصفرة التي ليست من ظاهرات الشباب الحي . . أفيكفي أن يكون الوجه ساحراً والعينان فتاكتين لتكون دليل الحيوية والنشاط ؟ إن هذا السحر العظيم في تقاطيع هذا الوجه ، وهذا المعنى البليغ العميق في هاتين العينين ، ليسا إلا ظواهر الحب الدفين ، فجردها منه تجدى شبحاً من الأشباح

***

دق باب غرفتها فأذنت ودخلت (فيروز) وهي مربيتها وخادمتها الخاصة ... تدعوها فعادت معها إلى حيث كانت أختها والرفيقات . . لقد خشين عليها الوحدة فدعونها . . لكن نفسها كانت تزخر بشتى العوامل . . الحب ، البغض ، الغيرة . . ولكن كرامتها أخذت تتيقظ فتعمل على اخماد هذه العوامل . . ودعت (فيروز) وطلبت منها أن تغني الأغنية التي تحبها . فاتخذت هذه وضع من يريد الغناء وشرعت في الأغنية الشعبية العراقية المعروفة :

جَلْبَكْ صَخَرْ جلمود ما حَنْ عَلَيَّهْ
وأنت بطَرب وبكيف والْبِيَّـــهْ بِيَّهْ

وما أتت فيروز على الأغنية حتى شرعت تبكي . . وشاركتها الجليسات . وفيما هن في ذلك دق الباب الخارجي . . فهرعت اليه فيروز وعادت تحمل رسالة حمراء اللون عرفت من لونها أنها رسالة برقية وكانت باسمها . كانت البصرة مصدرها . . من البصرة . . . يالله . . فضتها بيد مرتجفة وقرأت :

« ماتت زوجتي بالتيفوئيد منذ أسبوع . أسفت كثيراً على ما فعلت . . إني قادم اليكم بعد يومين . . » .

تغيرت سحنتها تماماً بعد تلاوة (البرقية) وتألقت عيناها بعزم ثابت ونظرت باحتقار إلى البرقية التي كانت لا تزال مفتوحة ومزقتها قطعاً صغيرة وألقتها في الموقد الذي كان بالقرب منها . وقالت تتمتم :

ماتت زوجته !. إنه قادم بعد يومين !. ما أسخفه وما أقل عقله ! ماذا حسبني ؟ هل يظن أني سأبقي محبة له بعد الآن ؟.. إن هذه البرقية خاتمة آلامي . . فلأسعد ولتعد الى الحياة . . ألا تباً له من رجل جبان . . يريد أن يسلو بي زوجته . فيا للذلة ! ويالسخرية القدر ! ليذهب وليلحق بها .. فماعدت أراه إلا خنزيراً في عيني

واشتدت ثورة نفسها وعظم سخطها فجاءت برزمة من الخطابات وبعض الصور مربوطة بأنشوطة حريرية حمراء وألقتها كما هي في نار الموقد . وناولت البرقية لأختها ورفيقاتها مجيبة بها على نظراتهن المتسائلة

(بغداد — ضاحية الأعظمية) سعيد عبد الاله الشرابي

اعتـــذار !

للأديب حسين شوقي

عزيزتي :

أبادر بتقديم اعتذاري الحار من مشهد الغيرة السخيف الذي مثلته أمامك أمس ! . . وما زلت أشعر بخجل شديد كلما فكرت فيه . . في الواقع لم يكن الذنب ذنبي ، بل هو ذنب قلبي الضعيف ؛ ولقد عاقبته على فعلتـــه إذ عنفته تعنيفاً شديداً ، ولكن هذا القلب قد يستحق أيضاً عطفك وحنانك ، إذ هو آلة ليس غير في يد تلك القوة الجبارة القاهرة ، قوة الحب ! مسكين قلبي ! إنه مطارد دائماً بنار حامية تدفعه إلى خلق مثل هذه الريب والظنون ، ولكنها في الوقت نفسه نار طاهرة مثل نار المجوس ، لأنها نار الحب المقدس ! كم كنتُ غبياً في غيرتي تلك ! فما الضرر في أنك تحدثتِ إلى س . ؟ ألا تتحدثين إلى مئات من أمثاله كل يوم أثناء عملك ؟ كذلك كان يجب عليّ أن أراجع نفسي فأقول إنه لا يهمك لأنك تبغضين مثل هذا النوع من الرجال المغرورين بجمالهم . فكم كانت ثقيلة متكلفة تلك الابتسامة التي علت شفتيه أثناء تحدثه إليك !

عزيزتي إذا كان قد أزعجك قليلاً ما بدر مني بالأمس ، فان ما حدث لي أنا فيه العقاب الكافي على فعلتي ، إذ رأيت الهول ليلة أمس في حلم فظيع . .

شاهدتك في غابة عظيمة ، لعلها من غابات الهند ، لضخامة أشجارها وكثافة أدغالها . كنت تتنزهين فيها مع شاب لم أتبين شخصيته ، لأنه لم يلتفت وراءه قط أثناء السير ؛ أما أنت ! فقد عرفتك من فوري يا عزيزتي ، من شعرك الذهبي الرائع ، من مشيتك الأنيقة التي تفردت بها دون نساء العالم أجمع ! . . ولكن الغابة كانت أثناء هذا تحترق ، والدخان الكثيف يتصاعد من كل مكان . . بادرتُ إلى مناداتك لتخرجي من الغابة ، ولكنك التفت إليّ دون أن تجيبيني ، كأنك لا تأبهين بالخطر المحدق ؛ بل تؤثرين التنزه مع ذلك الشاب وتفضلينه على كل شيء ! . .

أردتُ أن أعدو نحوك لانقاذك بالقوة ، ولكن ساقيّ الملعونتين أبتا عليّ ذلك كأنهما تحجرتا . . .

أما النار فقد أخذت تزداد عنفاً حتى اضطرت الوحوش إلى الهرب من الغابة ، والمدهش في هذا الحريق أن ألسنة النار المنبعثة من الأدغال اتخذت أشكالاً مروعة ، بعضها كان على صورة الثعبان والبعض اتخذ شكل التنين . . على رغم هذا كله ، كنت تتابعين نزهتك في اطمئنان مع ذلك الشاب الذي تأبط ذراعك اليسرى في حرارة واشتياق . . . أخذت أناديك مراراً ولكن بلا جدوى ! إذ كنتِ تلتفتين إليّ ثم تستأنفين حديثك الشائق مع صديقك ! ولكن هذه الحال المؤلمة لم تدم طويلاً ولله الحمد ! إذ سقطت إحدى لوحات سريري الخشبية من تحتي فأيقظتني من النوم ، وخلصتني من هذا الكابوس !

هنا . . أشعلت سيجارة وخرجت إلى النافذة لأستنشق الهواء لأني كنت متعباً من هذا الحلم كأن ما حدث لي وقع فعلاً . . . وكنت في الوقت نفسه شديد الرغبة في استئناف النوم للعودة إلى هذا الحلم برغم بشاعته لمعرفة شخصية ذلك الشاب السخيف المستهتر الذي كان يدعوك إلى النزهة في وسط النار !

عزيزتي ! هذا هو حلمي المروع ، ألا ترين أنني عوقبت به عقاباً كافياً ؟ ألا تصفحين الآن ؟

الرد

عزيزي :

وصلتني رسالتك ، ولقد تولتني الدهشة لكل هذه الضجة التي أثرتها لتتبين شخصية رفيقي في نزهة الغابة . لقد كان في امكانك الاتصال بي وقتها بالتليفون لأخبرك باسمه ، فأوفر عليك مجهودك .. أتريد أن تعرف من هو ؟ اعلم أن هذا الشاب هو (س) بعينه الذي تمت خطوبتي اليه ليلة أمس على أثر المشادة التي وقعت بيننا ، لأني آسفة أيها العزيز على أني لا أستطيع التزوج من مجنون مثلك !

(كرمة ابن هانئ) حسين شوقي

البريد الأدبي

المعجم الوسيط

أصدر صاحب السعادة وزير المعارف العمومية قراراً بتعيين الأستاذ أحمد أمين عضواً فى لجنة تأليف المعجم الوسيط وقد قرأت فى العدد الماضى ممن تتألف ؛ ولكن الأستاذ رفع إلى معالى الوزير استقالته منها ، والسبب المباشر لهذه الاستقالة أنه جعل ساعات فراغه من عمله الرسمى على ما بقى من سلسلة كتابيه (فجر الاسلام) و (ضحى الاسلام) وهو يخشى إذا أرهق نفسه بالعمل أن يعيا عن إخراجه ، ولكن معالى الوزير ما زال بالأستاذ يحاوره ويداوره حتى أقنعه بسحب الاستقالة

بشرى لعشاق الأدب — ديوان بشار موجود

أحس بشار بحسن اختراعه ، وجميل ابتداعه وغزارة بحره ، ففتن ببنات فكره ، وأعجب بثمرات لبه وذهب يخايل ويفاخر حتى قال : إن لى اثنى عشر ألف قصيدة لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن فى كل واحدة منها بيت فرد

ولو فرضنا أن الاثنى عشر ألف قصيدة هى كل ما لبشار من شعر ، وفرضنا أن كل قصيدة عدتها سبعة أبيات فقط — وهو حد القصيدة الأدنى عند العروضيين — وحسبنا ذلك لكان مجموع شعره أربعة وثمانين ألف بيت ! وهذا مقدار لم يك لشاعر فى القديم ولا فى الحديث . ولكن أين هذه الثروة الضخمة ؟ لقد ذهب بها الزمان فيما ذهب به من روائع الآثار وجميل الأشعار ، ولم يبق منها إلا نتف مبعثرة فى الكتب جهد الأدباء فى جمعها وزفها إلى جمهور القراء المتعطشين لشعر بشار . وأول مجموعة ظهرت هى مجموعة الأستاذ « أحمد حسنين القرنى » التى سماها « بشار ابن برد — شعره وأخباره ، طبعت عام ١٩٢٥ م ، وقفاه الأستاذ « حسين منصور » بكتابه : « بشار بين الجد والمجون » الذى طبعه عام ١٩٣٠ م ، وفى العام الماضى ١٩٣٥ طبعت لجنة التأليف والترجمة والنشر مجموعة هامة من شعره باسم « المختار من شعر بشار اختارها من مختار الخالديين شارحها الأستاذ « اسماعيل القيروانى » أحد علماء القرن الخامس ، وكان القائم بنشر هذا الكتاب الأستاذ « بدر الدين العلوى » المدرس فى كلية عليكرة بالهند ، وقد أثار طبع هذا الكتاب الصغير كوامن الأشواق إلى شعر بشار ، وتساءل الناس بحسرة ولهفة عن ديوانه وكثرت حوله الأقاويل وأجمع الناس أو كادوا على أنه انسلك فى سلك الفناء

وقد أخبرنى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين عضو مجمع اللغة الملكى أن جزءاً كبيراً من ديوان بشار موجود فى تونس عند صديقه الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكى ، وأطلعنى على الخطاب الذى ورد اليه حديثاً من صديقه يخبره فيه بوجود الديوان عنده ، وأنه ورثه عن جده المرحوم الشيخ محمد عبد العزيز أبو عتور . وهو يشتمل على سبعة آلاف وثلثمائة بيت مرتبة على حروف المعجم مكتوبة بخط مصرى جميل . وذكر الأستاذ ابن عاشور أنه عنى بشرح غريب ألفاظه وتبيان دقائق معانيه ، وذيله بمجموعة من شعر بشار لم ترد فيه وعددها ثمانمائة بيت معزوة إلى مواضعها من كتب العلم والأدب وأنبأ أنه عازم على طبعه فى مصر طبعة أنيقة تليق بما لبشار من المكانة السامية فى الأدب العربى . وقد استخبر الأستاذ من صديقه عن شؤون تتعلق بالطبع فأخبره مستنجزا ...

ويا حبذا لو عنيت لجنة التأليف وعلى رأسها الأستاذ أحمد أمين بأمر هذا الديوان ، وتولت هى طبعه بمعونة الأستاذ أو وحدها . إنها لو فعلت لأسدت إلى الأدبى العربى خدمة جليلة تكون قلادة فخار لها

ولا ريب فى أن نشر هذا الجزء الكبير سيلقى كثيراً من الضوء على تاريخ بشار وشعره وشاعريته . ولا ريب فى أنه سيغير من أحكام التاريخ عنه ، ويقلب تلك الآراء الظنية الشائعة رأساً على عقب . وسيكون ظهوره — وأرجو أن يكون قريباً — فتحاً جديداً فى تاريخ الأدب العربى

السيد احمد صقر

« عودة الروح » في اللغة الروسية

من الأنباء التي تقع من مصر الأدبية موقع الرضا والغبطة أن الكاتب الروسي النابه « ميشيل سالير » نقل إلى الروسية قصة « عودة الروح » للقصصي المصري النابغ توفيق الحكيم، ثم نشرها في لينتجراد عاصمة روسيا، وجعل ثمن النسخة منها خمسة روبلات وخمسين كوبك، وذلك يساوي ستين قرشاً مصرياً

ولاشك أن اختيار الكاتب لهذه القصة من غير تعرف لمؤلفها ولا استئذان منه، انما يدل على تقديره الفن فيها لذاته، وقياسه إياها بمقياس عالمي يرفعها الى مستوى الأعمال الأدبية العظيمة.

وستكون عودة الروح وأمثالها الوحدات الأولى التي يساهم بها الأدب العربي في الجهاد العالمي المشترك لنشر الوئام والسلام والخير من طريق الثقافة القصصية

تطور نظم التربية الألمانية

تتطور نظم الحياة والحضارة كما تتطور أساليب التفكير والتعليم والتربية في ألمانيا في ظل النظام الهتلري بسرعة مدهشة؛ والمحور الأساسي الذي يقوم عليه هذا التطور في جميع مناحي الحياة الألمانية هو صبغ هذه الحياة بالصبغة الجرمانية المحضة وتحريرها من جميع المؤثرات الأجنبية؛ ويجري في ميدان التعليم والتربية تطور حاسم أيضاً يقوم على تكوين الجسم الألماني تكويناً صحيحاً وتنمية القوى الجسمية الى جانب القوى العقلية. والانجيل الذي تطبق تعاليمه اليوم على الشعب الألماني هو كتاب هتلر المعروف « كفاحي »؛ ففي هذا الكتاب يتحدث هتلر عن التربية ويحمل بشدة على تفضيل تنمية الذكاء في الفرد، ويقول إن النظام القديم يرمي إلى خلق عقول وأفراد فقط؛ ولكنا نريد أن نخلق قبل كل شيء أجساماً قوية وإرادات ثابتة. ويكفي أن يخصص في الأسبوع ساعتين فقط للرياضة البدنية. ومذ تولى هتلر الحكم وهو يعمل لانشاء هذا النظام الرياضي؛ ففي سنة ١٩٣٣ صدر قانون « تحسين النشء »، ومبناه اتخاذ جميع الاجراءات التي يحسن اتخاذها لتقويم صحة الشباب وعقله وتفكيره؛ ثم صدر بعد ذلك قانون « السنة الخلوية » وهو يحتم على التلاميذ تمضية عام في الريف والحقول عقب انهاء الدراسة الابتدائية؛ وهنالك أيضاً نظام « الخدمة العامة » الذي يحتم على كل رجل أعزب وامرأة عزباء الاقامة ستة أشهر مع أبناء أو بنات الشعب في معسكر ريفي في العراء؛ ثم تنتقل مدارس المعلمين في القرى أو المدن الصغيرة؛ وكذلك انتقال أساتذة المدارس الابتدائية بين حين وآخر الى الريف للاشتغال ببعض الأعمال القروية. والقصد من ذلك كله هو أن يعد الشباب والنشء بروح العزم، وضبط النفس، واحتمال المشاق. وللفتاة الألمانية أيضاً نصيبها الوافر من التعليم الرياضي الذي يهيئ لها الجسم الصحيح ويعدها أماً صالحة للشعب الألماني

وكذلك يتجه النظام الجديد إلى تجنب الثقافة الجنسية التي يعدها عاملاً في إفساد الفتى والفتاة؛ فليس بين برامج التعليم الحاضر شيء من مسائل الثقافة الجنسية التي كانت تلقى بكثرة في ظل النظام القديم؛ وعلى الآباء والأمهات أن يلقنوا أبناءهم وبناتهم ما يحسن تلقينه من المسائل الجنسية المحتشمة، كذلك يرغب النظام الجديد عن نظام اختلاط الفتى والفتاة في ميدان التعليم ويعتبره تقليداً ضاراً بمستقبل النشء

ولم تبق الجامعة في نظر النظام الجديد مكاناً تحشد فيه المعلومات في الرءوس، ولا موطناً يعد الشباب للكسب الفردي؛ فالفرد إنما يجب أن يعمل للمجموع، وأن يستخدم في ذلك السبيل أي موهبة أو كفاية؛ ولا يريد النظام الجديد بعد شباباً ذابلاً تملأ رأسه المعلومات المختلفة، فذلك الضرب من الشباب يجب أن يختفي

وقد أدخلت تعديلات كثيرة على نظم القبول في المدارس والجامعات، وأضحى العامل العقلي والتعليمي أقل شأناً مما كان من قبل، وأضحى العامل الجسمي والخلقي في مقدمة العوامل التي تؤهل الطالب للقبول

وقد اتخذ تعليم التاريخ وسيلة لتكوين العقلية الألمانية الجديدة؛ فلم يعد يلقن الشباب تلك التفاصيل التاريخية المسهبة، وإنما يلقن التاريخ موجزاً من الناحية العامة، وتخص الناحية الجرمانية بكل عناية؛ وتتخذ نظرية السلالة الألمانية أهمية خاصة: سلالة الجنس الشمالي وتطورها ونقاؤها والأخطار التي تتعرض لها. هذا أهم ما يلقن الشباب الألماني، وهذا ما يشير اليه هتلر في كتابه بقوله إن غاية التربية الأخيرة هو أنه يجب أن يغرس في عقل النشء أن الجنس الجرماني هو أرفع أجناس الخليقة

وهكذا تفيض جميع نظريات التربية الألمانية القديمة التي عمل العلماء الألمان لاستخدامها على ضوء التجارب ...

العلمية المقررة ، وتحل مكانها نظريات جديدة جل غايتها أن تقوى الفكرة العسكرية فى الشباب الألمانى تحت ستار التربية الرياضية وأن تخلق من الشعب الألمانى قبل كل شىء شعباً عسكرياً يعتز بقواه وكفاياته المادية

ميشيل آنجلو

ميشيل آنجلو بطل من أعظم أبطال الفن ، وعلم من أعظم أعلام عصر الأحياء ؛ وقد كتب عنه مدى العصور عشرات من أكابر الكتاب فى كل أمة وكل عصر ؛ ولكن العبقرية الساطعة تبقى أبداً مثاراً للبحث والتقدير . وقد صدر أخيراً كتاب جديد بالانكليزية عن ميشيل آنجلو عنوانه « ميشيل آنجلو الراحل » Michel Angels The nax بقلم الدكتور دونالد فنليسون D. Finlayson ؛ وهو علامة أمريكى يحاول أن يبحث هذا العبقرى من نواح جديدة وعلى ضوء جديد ؛ وهو يمهد لبحثه بتصوير إيطاليا فى عصر الأحياء ، ذلك العصر الذى كانت تموج فيه العبقريات من كل ضرب ، ولاسيما فى التفكير والفنون . ذلك أن ميشيل آنجلو قد عاش فى نفس العصر الذى عاش فيه أعلام مثل ليوناردو دافنشى ، وبوتشللى ؛ وسافوناورلا ، ومكيافيللى ، ورافائيل سانزيو ، ولى تسيان ، وبنفونو توتشلليني ، وجورجو فسارى وغيرهم ، وكان عصراً ذهبياً من أروع ما عرف التاريخ

ولقد كانت ايطاليا تضطرم يومئذ بثلاث قوى سياسية متجاذبة . قوة آل مديتشى فى فلورنس ، وهم يحاولون حكم المدينة الجمهورية بنظام طغيان مستنير ، وقوة البابوات ، وهم يحاولون تقوية نفوذهم المدنى والدينى ، ودفع أطماع ملوك فرنسا ؛ وقوة الدولة الرومانية المقدسة ، وكانت قوة البابوات أبرز هذه القوى ؛ وكان البابوات يومئذ مزيجاً مدهشاً ، فمن اسكندر السادس الحبر الفاجر ، ولكن الطاغية القوى ، إلى جوليوس الثانى البطل المحارب ، الى بولس الثالث نصير الفنون والآداب . وفى هذا الأفق المضطرم بمختلف القوى والاتجاهات ولد ميشيل آنجلو فى كابرزا سنة ١٤٧٥ وتوفى فى رومه فى التاسعة والثمانين من عمره ، ولكنه عاش طوال حياته نقياً منزهاً عن مثالب عصره ، بعيداً عن ضروب الملق والزلفى التى ألفها البابوات وأمراء العصر ، بعيداً عن صنوف الفساد والخلاعة التى كانت خاصة المجتمع فى هذا العصر ؛ ولم يكن للمرأة أثر فى حياته إلا حينما بلغ الكهولة ، وعندئذ عرف الحب الرفيع وتعلق بأجل وأنجب سيدة فى هذا العصر ، وهى فتوريا كولونا مركيزة بسكارا ، ونظم لها مقطوعات من الشعر البديع ، وكتب لها رسائل ممتعة ؛ وفيما عدا هذه العاطفة الرقيقة كان ميشيل آنجلو مثل الرجل الأعلى ، بارا بأهله ، مترفعاً عن الدنايا ، معتدلاً فى أهوائه ورغباته

وكانت عبقرية ميشيل آنجلو تتفتح فى نواح عدة ، فقد كان مثالاً من أروع ما عرف التاريخ ، وكان مصوراً ، وكان مهندساً ، وكان شاعراً ؛ وفى هذه الميادين كلها يترك لنا ميشيل آنجلو آثاراً خالدة ؛ وقد قام بعد أن أربى على الثمانين بأعظم أعماله الهندسية ، فوضع تصميم قبة كنيسة القديس بطرس أعظم آثار النصرانية وأشرف على صنعها بنفسه ، وأنفق أعواماً فى نقش جدران المصلى السكستونى ، وهو أروع مافى الڤاتيكان من آيات الفن ، وتوفى بعد أن ترك للفن مالم يتركه بشر ، سواء فى الروعة أو المقدار

ولميشيل انجلو ناحية لم يلق عليها كبير ضوء هى ناحيته الشعرية ، ذلك أنه كان شاعراً رقيقا ، ينظم مقطوعات بديعة تحمل كلها طابع العظمة ؛ ولكن ينقصها التنوع وبروز الغاية

وقد أنفق الدكتور فنليسون أعواما طويلة فى البحث والدرس واستطاع أن يجد لمؤلفه مادة بديعة ، وأن يضع أمام القارئ صورة واضحة من شخصية ميشيل انجلو فى جميع نواحيها ؛ وقد زين الكتاب بطائفة من الصور البديعة

وفاة مؤلف موسيقى شهير

توفى أخيراً فى باريس المؤلف الموسيقى الروسى الذائع الصيت اسكندر جلازونوف ؛ وكان مولده فى بطرسبرج سنة ١٨٦٥ ؛ وفى سن الثامنة عشرة وضع أول قطعة موسيقية من تأليفه فأحرزت نجاحاً عظيما وذاعت على أثرها شهرته . ثم رحل إلى ألمانيا حيث التقى هناك بالموسيقى النمسوى الأشهر لزت وتلقى عليه وتخصص بارشاده فى التأليف الموسيقى . وفى سنة ١٨٨٩ ظهرت مقطوعته الشهيرة « ستنكا رازين » ، ووضع من بعدها تباعاً طائفة كبيرة من المقطوعات والأناشيد والأغانى والقطع الراقصة ، وأحرز بتآليفه العديدة مكانة عظيمة فى دوائر الموسيقى الرفيعة . ومن بين قطعه الراقصة الشهيرة « ريموند » « الفصول » « حيلة غرامية » . ولما نشبت الثورة البلشفية آثر الهجرة إلى فرنسا ، وعاش فى باريس أعواماً طويلة ، وتوفى هنالك فى دار الغربة بين جماعة المهاجرين البيض فى سن الحادية والسبعين

العالم المسرحي والسينمائي

على مسرح الأوبرا

السيد Le Sîd

تأليف كورني وتعريب مطران

ملاحظات للفنانين ارلشدين على الاخراج والتمثيل

لناقد «الرسـالة» الفنى

هى مأساة رائعة خلدت على الدهر ، ألفها زعيم المسرح الفرنسى وخالق المأساة الحديثة الشاعر كورنى ، وقد كان لظهورها ضجة كبيرة ، ذلك أنها وإن خالفت قاعـدة الوحدات الثلاث فقد نجحت نجاحا باهراً وظفرت من النظارة باعجاب عجيب

وقد كان لنجاح هذه المـأساة أثر سيء فى نفس الوزير الفرنسى الخطير الـكاردينال ريشليو . وكان هذا الوزير من هواة التأليف المسرحى ، وقد مثلت له قصتان فلم تنجح منهما واحدة ، فى حين أن « السيد » كانت تلقى النجاح بعد النجاح والفوز تلو الفوز . ولقد كظم الوزير غيظه — رغم أن القصة كانت تشيد بالمبارزة التى حرمها هو — ولـكنه حرك رجاله فى الخفاء ينقدون القصة نقداً عنيفاً ، وكان يريد بذلك أن يحط من قدر كورنى ، فقامت من أجل ذلك خصومة أدبية شـديدة انتهى أمرها إلى تحكيم المجمع الفرنسى فى القصة . ولم يصدر الحكم فى جانب المؤلف لأن الوزير تدخل بنفوذه ، ولـكن القصة رغم ذلك خلدت ، وها هى ذى تنقل الى العربية للمرة الثانية بقلم شاعر القطرين الأستاذ خليل مطران فى ترجمة عربية بديعة ارتفع أسـلوبها الى الأصل الشعرى الذى كتبت به ، وها هى ذى الفرقة القومية تختارها بين ما اختارت من روائع الأدب الغربى لتقدمها إلى الشعب المصرى

ملخص القصة

ليست القصة جديدة على قراء الأدب العربى ، فقد سبق أن ترجمها المرحوم الشيخ نجيب الحداد ومثلت باسم « السيد ، غرام وانتقام » ، وسبق للأستاذ الزيات أن لخصها فى « الرسالة » ونشر هذا الملخص فى كتابه « فى أصول الأدب » ، فمن أراد الاطلاع عليه فليرجع اليه

الاخراج

كنا نظن أن الفرق التمثيلية الأوربية التى تزور مصر وتمثل على مسرح الأوبرا تترك بعض الأثر فى نفوس الفنانين المصريين ، ولـكن يبدو أن الأمر على العكس ، فهذه الفرق تأتى وتعود دون أن نحاول أن نأخذ عنها شيئا

زارت مصر فى الشهر الماضى فرقة « دبلن جيت » الايرلندية وأخرجت عدة قصص لشكسبير وغيره ، فكان الاخراج أهم ظاهرة لهذه الفرقة ، وقد أبدى جميع المخرجين المصريين اعجابهم بعظمة هذا الاخراج ، فالمستر هيلتن ادواردز مخرجها يعمد الى الطريقة الايحائية ويستخدم منظراً واحدا لجميع فصول القصة ، ويستعين بالاضاءة وستار صغير فى تبديل المناظر مع تباينها

وأخرج الأستاذ زكى طليمات قصة السيد وكنا نظنه سيقتبس طريقة تلك الفرقة ، ولـكنه لم يحاول بذل أى جهد ، وعمد إلى الطريقة التى ألفناها منذ سنوات طويلة ، واستخدم المناظر المتعددة والستائر الـكثيرة . والحق أن هذا الاخراج إذا قيس إلى إخراج الفرقة الايرلندية بدا هزيلاً ضئيلاً

يرى النقاد أن الوحدة إذا توفرت فى العمل الفنى كان ذلك من دواعى الـكمال والنجاح ، ولـكن رجالنا لا يرون هذا الرأى ، وإلا لـما كانت طريقة الالقاء متباينـة . فحسين رياض وزينب صدقى وعزيزه أمير وزكى رستم يلقون إلقاء شعرياً ال

ومنسى فهمى وفردوس حسن وغيرهما يلقون إلقاء عادياً ، وهذا التباين مما ينفر النظارة ، والمخرج فى رأيى مسؤول عن هذا الخلط والاضاءة عادية ، ولكننا فى منظر قاعة العرش كنا نرى الضوء يسقط على جدار للقصر من يمين النظارة إلى اليسار فى حين نرى الضوء يسقط على وجوه الممثلين من يسار النظارة إلى اليمين ، وهذا مما لا يرضى الفن ولا الأستاذ المخرج

وفى المنظر الثانى من الفصل الثالث نرى والد ردريج حائراً يبحث عن ولده ويقول : « فى هذا الظلام الدامس » بينما ضوء القمر يغمر وجه الممثل وينير الأرض حواليه . ولا يفوتنى أن أبدى إعجابى بالاضاءة فى الموقف بين شيمين وردريج فى النصف الأول من الفصل الثانى ، فقد كان الضوء ملائماً للحوار ، وكان له أثر ووقع كبيرين فى نفوس النظارة

والملابس فاخرة تنطبق على روح العصر ، ولكن الذى حيرنى أن شيمين عندما بلغها خبر موت والدها سارت إلى قصر الملك فى ثياب الحداد بينما وصيفتها تتبعها فى ملابس زاهية ؟ ! كما أن ملابس الملكين الأسيرين لا تصلح لرجال أسروا فى موقعة

التمثيل

قبل أن أتحدث عن التمثيل أبدى أسفى الشديد لاهمال الممثلين استظهار أدوارهم مما جعل صوت الملقن يرتفع فيفسد على النظارة خيالهم

مثلت السيدة زينب صدقى دور شيمين ، وقد نجحت كثيراً فى أداء هذه الشخصية ، وأذكر لها مع الاعجاب موقفها مع ردريج فى الفصل الثالث ثم مع وصيفتها وهى تبدى الجزع خيفة أن يقتل حبيبها ، ولكنى آخذ عليها الالقاء الخافت فى بعض المواقف مما جعل الألفاظ غامضة على السامع

ومثل حسين رياض دور ردريج ، فكان القاؤه شعرياً ونجح فى دوره إلى حد غير قليل ، وموقفه مع شيمين بديع . أما موقفه مع الملك وهو يصف المعركة فيحتاج إلى عناية أكثر ؛ وأرجو أن يعنى « بالمكياج » ، وأن يختار لوجهه لوناً خمرياً يكون قريباً إلى البشرة الأندلسية

ومثل زكى رستم دور والد شيمين فأخرجه على خير ما يكون ، كان الرجل المتكبر فى إشاراته وإلقائه مما طابق الشخصية

ومثل منسى فهمى دور الملك فكان ناجحاً ؛ ولكنه لم يحاول أن يسمو بهذا الدور كعهدى به فى أدواره السابقة

أما السيدة عزيزة أمير فلم تنجح كثيراً فى أداء شخصية ابنة الملك ؛ وكان القاؤها على نسق واحد دون تلوين أو تعبير عما فى نفسها من إحساسات ؛ ويبدو لى أن اللغة الرصينة مما يصعب عليها أداؤها

ومثلت نجمة ابراهيم دور وصيفة شيمين فوفقت ، وفى رأيى أنها أصلح لدور ابنة الملك من غيرها من فتيات الفرقة

ومثل سراج منير دون سانش ، فكان حديثه مع الملك هو نفسه حديثه مع شيمين التى يهواها

ملاحظات لفنانين ايرلنديين

شهد هذه الرواية فى الليلة الأولى لتمثيلها بعض أعضاء فرقة « دبلن جيت » الايرلندية ؛ وقد أبدى مخرج الفرقة المستر هيلتن ادواردز وممثلها الأول المستر ميكائيل ماك ليمور إعجابهم بتمثيل السيدة زينب صدقى وحسين رياض وزكى رستم ، كما أبديا بعض الملاحظات على الأخراج . وسننشر حديثهما كاملاً فى العدد القادم

يوسف

في السينما

العصر الحديث

فيلم شارلي شابلن الجديد

أما إن شارلي شابلن عبقري وفيلسوف فهذا ما لا شك فيه ، وأما إن فلمه الجديد « العصر الحديث » عظيم فمسألة فيها نظر

فنحن إذا نظرنا اليه على أنه عمل رجل عبقري لا تنطبق عليه القواعد المألوفة والمقاييس المعروفة وجدنا عملاً عظيما حقا يحس الانسان أثناء عرضه بسرور ولذة ، ويستمتع بأفكار شارلي وطريقته الفكهة في عرض هذه الأفكار ، ولكننا إذا حاولنا تطبيق المقاييس الفنية الدقيقة نجده لا يسمو على غيره من الأفلام التي تعرض بين حين وآخر ، بل ربما تنقصه بعض العوامل الفنية التي تتوفر في تلك الأفلام

والفكرة الرئيسية التي يقوم عليها الفلم جليلة ، فهو ينقد العصر الحديث ، ويسخر من سيطرة الآلات على الانسان ويبين أنها لا تسعد الانسانية ، بل تستعبد البشرية ؛ وقد أفلح شارلي في مزج الفلسفة بالقصة . ولكن الفلم طويل في غير حاجة الى الطول ، وإن الناقد ليحس أن هناك فصولاً Sequences جيء بها لتسد فراغ الوقت حتى لا ينتهي العرض في زمن قصير

بدأ شارلي فلمه بمنظر قطيع من الغنم يسير إلى الحقول ، وأعقبه بمنظر العمال يتدافعون الى المصنع ، وكأنه يرمي بهذا إلى أن العمال قطيع من الغنم يقودهم الرأسماليون

ويظهر لنا شارلي تلك الشخصية الانسانية ، أو قل الرمزية التي تعيش بأسلوبها الخاص في مشيتها وملابسها وقبعتها وعصاها ، هذه الأشياء التي أصبحت جزءاً متمماً للشخصية — تعمل في مصنع كبير — تؤدي عملا ، وكأنها جزء من تلك الآلة ، يرهقها العمل المضني المتشابه الذي يبعث السأم ، ويؤدي بها إلى نوع من الهستيريا . وترسل إلى مستشفى الأمراض العقلية حيث يعاودها الهدوء والسكينة . وعند ما يسمح الطبيب لها بمغادرة المستشفى نراه ينصح بالابتعاد عن كل ما يثير الأعصاب ؛ ولكن لا تكاد تتصل بالحياة حتى نرى تيارها الزاخر الصاخب ، وحركات المرور ، وكل ما هو وليد المدنية والعصر الآلي

ثم يصور شارلي بؤس العامل العاطل ، وكيف تقسو الحياة على أطفاله ، فيغدون لصوصا وما هم بلصوص ، وإنما هم طلاب قوت . ونرى المظاهرات ومقاومة رجال الشرطة للعمال واقتيادهم إلى السجن ، وحيث يقدم اليهم الطعام والشراب . وهنا تبدو سخرية شارلي من النظم الاجتماعية ، فان العامل يأسف على مغادرة السجن ويود لو بقي فيه ، فالطعام والشراب خير لديه من الحرية التي يتغنى بها الناس !!

وتتصل أسباب الصداقة بين شارلي وابنة أحد العمال الذين قتلوا في مصادمة مع رجال الشرطة ، ونرى شارلي جالساً يحدثها ويعرض على الشاشة حلم اليقظة ، فنراهما يعيشان معاً في كوخ جميل ، وشارلي على مقعد يمد يده دون جهد فيتناول حبات العنب من عناقيدها المدلاة ، ويمد يداً ثانية فيتناول فاكهة أخرى ، ثم يسير إلى بقرة ويضع تحت ثديها آنية فتدر اللبن وحدها دون أن يبذل هو أي جهد في حلبها . وإنما يرمي شارلي بهذه الصور جميعاً إلى أن العامل لا يحلم إلا بالراحة ؛ فهو في حلمه لا يريد حتى أن يبذل أي جهد ، وينقضي الحلم ونراهما في اليقظة بعد أسابيع قليلة في كوخ متداع حقير ، لا يصلح مأوى لأحقر الحيوانات ، ومع ذلك فهما سعيدان معا . فالعاطفة التي بينهما كافية لأن تبعث السعادة في نفسيهما وتعوضهما عن كل شيء آخر

هذه الآراء التي صورها شارلي والتي جئنا على ذكرها خير ما في الفلم ، ولو أنه اقتصر عليها وأحكم الرابط بين أجزائها لجاء الفلم قوياً . فالبقية ليست إلا حشواً وتكراراً

فهو في عمله كحارس ليلي يلبس النعل ذا العجلات Scating Shoe ويتزلج معصوب العينين يلهو ويمرح ، لم يفلح في بعث السرور إلى النفس ، وهؤلاء العمال الذين تسللوا في الظلام إلى حيث يجدون الطعام ترديد لفكرة سبق أن صورها ، وكذلك هو مع رئيسه في المصنع الجديد يصلح الآلة ، ثم وهو في مصنع السفن انما يعرض حالة لا ترتبط بسياق القصة الرئيسية كبير ارتباط والفلسفة كانت أكثر مما يحتمل الفلم ، ففي النهاية نجد

شارلى يعمل خادماً فى مطعم كبير وتراه يحمل الطعام مخترقاً الراقصين ، وعندما يصل إلى المكان المقصود يجرفه تيار الراقصين ويسير به إلى حيث بدأ ، وأخيراً وبعد الجهد يصل ولكن يجد الطعام قد سقط منه ! ! وكذلك بعد أن ألقى قطعته الغنائية وتقبل تهانئ مدير المطعم ووعداً بالعمل المستمر وأحس بأن السعادة مقبلة ، نرى القدر يعاكسه إذ يرسل اليه رجال الشرطة يطلبون فتاته فيهرب معها تاركا السعادة بعد أن كانت بين يديه . فهذا الامعان فى الفلسفة فيه بعض الارهاق لرواد السينما ، وهؤلاء قد يضحكون من الحركات ولكنهم لا يفهمون ما يرمى اليه المؤلف والمخرج . وفى رأيى أن واجب رجال السينما تبسيط الآراء ما استطاع

والناحية الفكهة فى الفلم لا بأس بها ، ولكنها ليست قوية إلى الدرجة التى كنا نتوقعها ونرجوها ؛ وخير ما أذكر له جلسته أمام الآلة التى تناول الطعام ، لا سيما وهو يحاول أكل الذرة ثم وهو يقفز إلى الماء ليغوص ، فاذا بالمكان الذى يسقط فيه ضحل فيتألم ويعود أدراجه دون أن يتم الاستحمام

يبدو لى أن جهود شارلى الموزعة هى السبب الأول فى ضعف الفلم . وقد تحدثنا عن ضعف الرابطة بين كل جزء وآخر ، وعن الحشو والتكرار ، وهذا ما جعلنى أنظر الى هذا الفلم كأنه نوع من الاستعراض ، فليس هو بفكرة واحدة متسقة تعالج علاجا فنيا

والتصوير بدائى Primitive وليس هذا الذى شاهدناه بالمستوى الذى يليق بفلم كبير كهذا ، فلم تكن هناك مهارة فى اختيار زوايا التصوير ، كما أن شارلى قد عمد فى جميع الصور المتتابعة إلى التقاط الصور المتوسطة Medium Shots وكأنه ليس فى التصوير السينمائى غيرها

وحاول أن يرسم صورا متباينة Contrast لحالة العمال والرأسماليين فجعل فتاته الجائعة المحرومة تقف ذاهلة ثم تنقض على الفطائر ثم تنتقل إلى قسم الأزياء وتختار معطفاً ثمينا من الفرو الأبيض فترتديه وترقد على فراش وثير ، ولكن الصورة ضعيفة وأثرها فى النفس غير عميق

والتمثيل عادى ، ولقد مثلت بوليت جودار دور الفتاة فلم تبد تلك المهارة والقدرة التى تحدثت صحف السينما عنها وهى لا تزال ممثلة مبتدئة

والصورة الأخيرة التى يظهر فيها شارلى وفتاته يسيران فى طريق مجهول يتهيئان لكفاح جديد من أحسن الصور وأوقعها أثراً ، ولقد فكرت كثيراً ثم قلت لنفسى ، ألم يكن من الخير أن يسمى هذا الفلم . . . « الأمل » ؟ !

والفيلم فى مجموعه مقبول وفيه جمال ، ولكنه يقل كثيراً عن فيلم شارلى السابق « أنوار المدينة » وان اختلف موضوع كل منهما ، الا أن « أنوار المدينة » كعمل فنى ترجح كفته على كفة الفلم الجديد ؟

يوسف تادرس